سلسلة الحق والنور

الرسالة الحادية عشر

فهو السير بالدين والمحبة

مراتب الكمال بدين الله

الإسلام

إلى ذات المحبوب جل وعلا

المؤلف

الشريف الشيخ عباس السيد فاضل الحسني

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

المقدمة

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرّجيم.

بسم الله الرّحمن الرّحيم.

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله، بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمَّة، وجاهد في الله حقَّ جهاده حتى أتاه اليقين ـ صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آل بيت النَّبيِّ المكرمين، وأصحاب رسول الله الأتقياء الغرّ الميامين، وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ـ إلى أبد الآبدين.

أمَّا بَعْدُ: (فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمّد ﷺ وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة،

وكلُّ بِدعة ضلالة). اللَّهمَّ؛ نسألك الاتباع، ونعوذ بك من الابتداع، آمين.

- ﴿سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢﴾ [(١)].

- ﴿إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٧٣﴾ [(٢)].

- ﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣﴾ [(٣)].

يا لطيف يا واسع يا عليم، يا الله، آمين.

ثمَّ أمّا بَعْدُ: فقد قال الله تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [(٤)]، فقد

---

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة آل عمران.

(٣) سورة الشعراء.

(٤) سورة المائدة.

أكرمنا الحق ـ جلَّ وعلا ـ بأمره ورضاه؛ بنبيّنا محمّد ﷺ، وبالإسلام الحنيف، وبالقرآن المجيد، وبهذا يكون هذا الطريق، هو أقرب الطرق إليه ـ سبحانه وتعالى، وهو: اتباع النَّبيِّ ﷺ، وكتاب الله المجيد، اللذين عليهما مبنى هذا الدين الحنيف، الذي حوَّل الله بهما البشرية؛ من ظلمات الجهالة والكفر، إلى نور الهدى والعلم، كما قال أكمل الرسل ﷺ: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»، رواه الحاكم والبزار [1].

فهذا هو نور الله ـ جلَّ وعلا، الذي من سار به، كيف لا يصل إلى الله تعالى، وإلى سعادة وحياة البشرية جمعاء!؟، كما قال أكمل الرسل ﷺ: «أَبْشِرُوا... أَبْشِرُوا...، أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟» قالوا: نعم، قال: «فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ فَتَمَسَّكُوا

---

(١) ((المستدرك على الصحيحين)): لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري الحاكم المعروف بابن البيع (ت٤٠٥هـ): (١١٨/٣)، رقم: ٣١٩.

بِهِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا»[1]، رواه ابن أبي شيبة "في مصنفه" وابن حبان في "صحيحه". "فأين من يمد لله يداً؟".

أيها القارئ الكريم: هذا كتابٌ جامعٌ لمراتب الدين الحنيف، بما في علم الكتاب والسنّة ـ من الواجبات والمستحبات والمحبوبات ـ تقربًا إلى ذات الحقِّ ـ جلَّ في علاه، من الإنابة والهدى لهذه الأمة المرحومة ـ من المبرات، والمقربات والمحبوبات؛ ويدور هذا الكتاب على ثنتي عشرة مرتبة ـ كلُّ مرتبة بابٌ من أبواب الشريعة الغراء ـ قولاً وفعلاً وحالاًـ بتوفيق الله وَمَنِّه، وها هي التالية ذكراً:-

المرتبة الأولى: الإيمان، والإسلام.

---

(١) ((مصنف ابن أبي شيبة)): لأبي بكر، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي المعروف بابن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ): (١٢٥/٦) رقم: ٣٠٠٠٦، ((صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان)): لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ): (٣٢٩/١)، رقم: ١٢٢، قال الألباني: صحيح، ينظر: ((السلسلة الصحيحة))، رقم: ٧٣١، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن على شرط مسلم.

المرتبة الثانية: مراتب التقوى بدين الله الإسلام.

المرتبة الثالثة: مقام الإحسان العظيم.

المرتبة الرابعة: ما يدور عليه ديننا الحنيف.

المرتبة الخامسة: مقام المحبة ومراتبها.

المرتبة السادسة: أقسام العلم وتحقيقه.

المرتبة السابعة: الدعوة في سبيل الله، ومنازلها.

المرتبة الثامنة: الجهاد في سبيل الله، وأنواعه.

المرتبة التاسعة: العارف بالله تعالى.

المرتبة العاشرة: الوارث المحمدي، وشروط تأهله.

المرتبة الحادية عشر: عظام التجليات بثلاث ساعات.

المرتبة الثانية عشر: الدعاء، وشروط استجابته.

ثمَّ الخاتمة المباركة، وما فيها: من كمال ديننا، وواجبات المسلم عليه في حقوق العباد.

وحول هذه المراتب الجليلة، يكون ما في دفتي هذا الكتاب؛ الذي شمل مراتب الدين الإسلامي الحنيف ـ بمراتب السير إلى الله، والوصول إلى رضا المقصود ـ جلَّ جلالُهُ، وعمَّ فضلُهُ ونوالُهُ.

فأسأل الله اللطيف الواسع العليم أن ينفع به سائر المؤمنين والمؤمنات، المسلمين والمسلمات، وأن يجعله من الباقيات الصالحات ـ في الحسنات والدرجات ـ لي ولوالديّ، وللأهل والأحبة، آمينَ آمين. والحمد لله ربِّ العالمين.

المرتبة الأولى: الإيمان، الإسلام.

فأولها: الإيمان، وهو: قول باللسان، وعمل بالأركان، وتصديق بالجنان. فمن شهد وعمل، ولم يعتقد، فهو منافق، ومن شهد ولم يعمل، واعتقد، فهو فاسق، ومن شهد وعمل، واعتقد، فهو مؤمن، ومن أخلَّ بالشهادة، فهو كافر.

والإيمان على خمسة أوجه: إيمان مطبوع، وإيمان معصوم، وإيمان مقبول، وإيمان موقوف، وإيمان مردود. فالإيمان المطبوع: هو إيمان الملائكة، والإيمان المعصوم: هو إيمان الأنبياء ـ عليهم السّلام، والإيمان المقبول: هو إيمان المؤمنين، والإيمان الموقوف: هو إيمان المبتدعين، والإيمان المردود: هو إيمان المنافقين.

ومراتب الإيمان ثلاثة:-

١ ـ التوحيد، وهو: تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام، ويتخيل في الأوهام والأذهان، كما قال ـ جلَّ شأنه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ١٩﴾[١].

---

(١) سورة محمد.

وقال ـ جلَّ مجده: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [1]، فهو تنزيه الحق ـ جلَّ وعلا، عن الحدوث والشبيه والنظير، فهو القدوس في ذاته، وصفاته، وأفعاله؛ فهو الأزليُّ الأبديُّ: الأولُ بِلا بِداية، والآخرُ بِلا نهاية؛ كما قال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ [2]، وقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»، رواه مسلم وغيره [3].

٢ـ التجريد، وهو: الإخلاص في التوحيد، وهو قطع الأسباب عن الفؤاد، واتخاذ السبب ظاهراً شرعياً، والتعلق

---

(١) سورة الشورى.

(٢) سورة الحديد.

(٣) ((صحيح مسلم)): لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ــ باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم: ٦٨٢٧، ((سنن الترمذي)): لمحمد بن عيسى الترمذي (٢٧٩هـ) كتاب الدعوات، رقم: ٣٤٠٠، ((سنن أبي داود)): لسليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت٢٧٥هـ): كتاب الأدب ــ باب ما يقول عند النوم، رقم: ٥٠٥١، ((سنن ابن ماجه)): لمحمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ): كتاب الدعاء ــ باب دعاء رسول الله ﷺ، رقم: ١٢٦٠.

بالمسبب هو الله وحده؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۝٣﴾[1]، وقال جلّ جلاله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۝٥﴾[2]، وورد في الحديث قوله ـ عليه الصّلاة والسّلام: «الإخلاص إيمان كلّه». والإخلاص لمن له البقاء، وإليه المرجع والمآب، وهو رب الأرض والسماوات ـ جلَّ في علاه ـ فهم قاصدون بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة وجه الله تعالى، وطلب الزلفى لديه ـ جلَّ جلالُهُ، وعَمَّ فضلُهُ ونوالُهُ.

٣ ـ التفريد، وهو: الفرار من كل شيء إلى الله ـ جلَّ وعلا، كما قال ـ عزَّ ذكره: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥١﴾[3]، سأل الصديق ـ أبو بكر رضي الله عنه، رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلّم، من الفارين إلى الله؟ فقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: «أنت من الفارين إلى الله». ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى

---

(١) سورة الزمر.

(٢) سورة البينة.

(٣) سورة الذاريات

ٱللَّهِ﴾، أي: ارجعوا إلى الله، أو اهربوا من عذاب الله إلى ثوابه، بالإيمان والطاعة والمحبة، فيجب على العبد أن يفر من الجهل إلى العلم، ومن الهوى إلى الهدى، ومن الشك إلى اليقين، ومن الشيطان إلى الرحمن، ومن الغفلة إلى ذكر الله؛ ليستكمل الإيمان والدين، حتى يحصل له غاية المراد والمطلوب، من الله ـ جلَّ وعلا.

قال سيدنا عليٌّ المرتضى ﷺ، وكرم الله وجهه: ((إن ربي ﷻ هو الأول لم يبد مما، ولا ممازج مع ما، ولا حال وهما ولا شبح يتقصى، ولا محجوب فيحوى، ولا كان بعد أن لم يكن فيقال حادث، بل جلَّ أن يكيف المكيف للأشياء كيف كان، بل لم يزل ولا يزول لاختلاف الأزمان، ولا لتقلب شأن بعد شأن، وكيف يوصف بالأشباح، وكيف ينعت بالألسن الفصاح، من لم يكن في الأشياء فيقال بائن، ولم يبن عنها فيقال كائن، بل هو بلا كيفية، وهو أقرب من حبل الوريد، وأبعد في الشبه من كل بعيد، لا يخفى عليه من عباده

شخوص لحظة، ولا كرور لفظة ولا ازدلاف رقوة، ولا انبساط خطوة، في غسق ليل داج ولا إدلاج، لا يتغشى عليه القمر المنير، ولا انبساط الشمس ذات النور بضوئهما في الكرور، ولا إقبال ليل مقبل، ولا إدبار نهار مدبر، إلا وهو محيط بما يريد من تكوينه، فهو العالم بكل مكان، وكل حين وأوان، وكل نهاية ومدة، والأمد إلى الخلق مضروب، والحد إلى غيره منسوب، لم يخلق الأشياء من أصول أولية، ولا بأوائل كانت قبله بدية، بل خلق ما خلق فأقام خلقه، وصور ما صور فأحسن صورته، توحد في علوه فليس لشيء منه امتناع، ولا له بطاعة شيء من خلقه انتفاع، إجابته للداعين سريعة، والملائكة في السموات والأرضين له مطيعة، علمه بالأموات البائدين، كعلمه بالأحياء المتقلبين، وعلمه بما في السموات العلى كعلمه بما في الأرض السفلى، وعلمه بكل شيء، لا تحيره الأصوات، ولا تشغله اللغات، سميع للأصوات المختلفة،

بلا جوارح له مؤتلفة، مدبر بصير، عالم بالأمور، حيٌ قيوم)) انتهى[1].

"أيُّ سادة": هذا هو أساسُنا العظيم؛ ألا وهو مقام التوحيد، ثمَّ بناؤنا الحصين؛ ألا وهو الإسلام الحنيف:ـ

فثانيها: الإسلام، وهو: مرتبة من مراتب الدين الحنيف، كما قال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[2].

"والإسلام"، هو: الخضوع والانقياد لما أخبر به الرسول ﷺ، كما قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ

(١) ((حلية الأولياء)): لأبي نعيم احمد عبد الله الأصبهاني: (ت٤٣٠هـ)، (١/٧٣).

(٢) سورة الأحزاب.

عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٧﴾[1]، أي: كلّ ما آتاكم فخذوه، وما نهاكم عنه فاتركوه، واعلموا أن نبوة نبينا محمّد ﷺ، باقية بعد وفاته كبقائها حال حياته، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ وجميع الخلق مخاطبون بشريعته الناسخة لجميع الشرائع، ومعجزته باقية وهي القرآن، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ۝٨٨﴾[2]، ومن رد أخباره الصادقة كمن رد كلام الله تعالى. آمنا بالله، وبكتاب الله، وبكل ما جاء به نبينا محمّد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ۝١١٥﴾[3]. قال أهل العلم: ويدل مفهومها على أن مَن لم يشاقق الرسول، ويتبع سبيل المؤمنين، بأن كان

---

(١) سورة الحشر.

(٢) سورة الإسراء.

(٣) سورة النساء.

قصده وجه الله تعالى، واتباع رسوله، ولزوم جماعة المسلمين، ثم صدر من الذنوب أو الهم بها ما هو من مقتضيات النفوس، وغلبات الطباع، فإن الله لا يوليه نفسه وشيطانه، بل يتداركه بلطفه، ويمن عليه بحفظه، ويعصمه من السوء، كما قال تعالى عن يوسف ـ عليه السّلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾[1] أي: بسبب إخلاصه صرفنا عنه السوء، وكذلك كلّ مخلص، كما يدل عليه عموم التعليل، اللّهمَّ اجعلنا مخلصين لك في الأقوال والأفعال والأحوال، اللّهمَّ؛ أنت الذي أنعمت، أنت الذي هديت؛ فزدنا ولا تنقصنا، اختم حياتنا عليك، وأمتنا على كمال الحبّ والإيمان، يا اللهُ، آمينَ آمينَ ـ يا ربَّ العالمين.

المرتبة الثانية: التقوى بدين الله الإسلام

ومراتب التقوى ثلاثة:ـ

---

(١) سورة يوسف .

أولاً: تقوى الأوامر، كما قال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ٣٤﴾[1]، وقال ـ جلَّ شأنه: ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٧﴾[2]، "والتقوى": هي الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وهي صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك. وهي الاقتداء بالنَّبيِّ محمّد ﷺ، قولاً وفعلاً، ومنها: الأركان الخمسة، في الإسلام الحنيف.

ثانياً: تقوى التعظيم، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ٣٢﴾[3]، وقال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ٣٠﴾[4]، وهذه "تقوى القلوب"، قال المفسرون: إذا اجتمع القلب مع التقوى، "فدلالة القبول"، لما ورد عن الحبيب المحبوب ﷺ: «إِنَّ النُّورَ إِذَا دَخَلَ الصَّدْرَ انْفَسَحَ» فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ

---

(١) سورة الأنفال.

(٢) سورة البقرة.

(٣) سورة الحج.

(٤) سورة الحج.

لِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ يُعْرَفُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالاسْتِعْدَادِ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ»[1]، رواه البيهقي والحاكم. وقال سيدنا علي المرتضى ﷺ، التقوى: هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل.

وكتب سيدنا عمر الفاروق إلى ابنه عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ في غيبة غابها: أمّا بَعْدُ: فإنَّ من اتقى الله وقاه، ومن اتكل عليه كفاه، ومن شكر له زاده، ومن أقرضه جزاه، فاجعل التقوى عمارة قلبك، وجلاء بصرك، فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا خير لمن لا خشية له، ولا جديد لمن لا خلق له.

ثالثاً: تقوى الآداب، كما قال ـ جلَّ مجده: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾[2]، وهذه "امتحان

---

(١) ((المستدرك على الصحيحين)): (٣٤٦/٤)، رقم: ٧٨٦٣، و((شعب الإيمان)): لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني البيهقي (ت ٤٥٨هـ) (١٣٣/١٣)، رقم: ١٠٠٦٨.

(٢) سورة الحجرات.

تقوى القلوب"، وهذا قليل، لقوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْۗ ﴾[1]. قال الحسين ـ رضي الله تعالى عنه: ((من امتحن الله قلبه للتقوى؛ كان شعاره القرآن، ودثاره الإيمان، وسراجه التفكر، وطيبه التقوى، وطهارته التوبة، ونظافته الحلال، وزينته الورع، وعلمه الآخرة، وشغله بالله، ومقامه مع الله، وصومه إلى الممات، وإفطاره من الجنّة، وجمعه الحسنات، وكنزه الإخلاص، وصمته المراقبات، ونظره المشاهدات))[2].

فمن كان تقياً، كان لله ولياً، ولا ولاية إلا بالتقوى، والذي يتقرب إلى الله ـ جلَّ وعلا، بالطاعة والأدب، يتقرب إليه الحق ﷻ، بالرحمة والرضا. فتأمل.

اللّهمَّ؛ آتِ نفوسنا هداها وتقواها وزكها، أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، آمين.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾.

---

(١) سورة ص.

(٢) ((روح البيان)): لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي (ت ١١٢٧هـ): (٩/٦٦، ٦٧).

المرتبة الثالثة: من مراتب ديننا الحنيف؛

ألا وهو: "مقام الإحسان العظيم"، وهو: إسلام ظاهر يُقيمه، وإيمان باطن؛ يُكمّله إحسان شهوديّ، كما قال أكمل الرسل ﷺ: «الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[1]، وهو الحضور والذكر والإخلاص فيهما لله ربِّ العالمين.

قال الإمام النووي: ((هذا أصلٌّ عظيم من أصول الدين، وقاعدة مهمة من قواعد الإسلام، وهو عمدة الصديقين، وبغية السالكين، وكنز العارفين، ودأب الصالحين، وتلخيص معناه: أن تعبد الله عبادة من يرى الله، ويراه الله، فإنه لا يستبقي شيئاً من الخضوع والإخلاص، وحفظ القلب والجوارح ومراعاة الآداب ما دام في عبادته))[2].

---

(١) ((الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)) المعروف بـ ((صحيح البخاري)): لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، كتاب الإيمان ـ باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، رقم: ٥٠ ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان ـ باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم: ٩٣.

(٢) ((عمدة القاري شرح صحيح البخاري)): لمحمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى المعروف بـ بدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ): (٢٨٩/١).

قُلتُ: وهذا من عظيم القرب إلى ذات الحقِّ ـ جلَّ وعلا، ومن ذلك: "الحضور بالفكر، وذكر الله في القلب"، وهذا لأهل اليقين والمحبة.

فذكر الله تعالى بالقلب؛ "صدق"، وذكر الله تعالى بالقلب واللسان؛ "إخلاص"، وذكر الله تعالى باللسان المجرد دون القلب؛ "قلقلة وريله"؛ وذكر أهل العلم والمعرفة بالله تعالى أمثلة على ذلك؛ فقالوا: إن الذكر لا يخلو من ثلاثة أشياء:-

ـ أمّا ذكر اللسان مع القلب؛ بقرع باب الملك، وهو "كفارة ودرجات". وأمّا ذكر القلب بإذن مخاطبة الملك، وهو "زلفى وقربات". وأمّا ذكر الروح فبمكالمة الملك ومحادثته، وهو "حضور ومشاهدة ومناجاة"، كما قال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ

وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[1].

ومن ذلك: أذكار السنة الطاهرة، قال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[2]، وقال أكمل الرسل ﷺ: «أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى» قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: ((مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ)) رواه مالك وأحمد والترمذي[3].

((1)) سورة آل عمران.

((2)) سورة الأحزاب.

((3)) ((موطأ مالك)): لمالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت ١٧٩هـ): كتاب القرآن ــ باب ما جاء في ذكر الله ــ تبارك وتعالى، رقم: ٧١٦، ((مسند أحمد)): لأحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ) (١٨/٥٧٦)، رقم: ٢٧٣٧١، ورقم: ٢٧٣٩٦، ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات، رقم: ٣٣٧٧.

ـ ومن ذلك: تلاوة القرآن وتدبره، كما قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفُ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»، رواه الترمذي[١]، وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ[٢] مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ[٣]، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ[٤]، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ[٥]» رواه مسلم[٦]، وفي رواية أخرى: «يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ، فَيُلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا

---

(١) ((سنن الترمذي)): كتاب فضائل القرآن ــ باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرءان ماله من الأجر، رقم: ٢٩١٠، قال الألباني: صحيح.

(٢) أي: الحاذق، من المهارة، وهي الحذق، جاز أن يراد به جودة الحفظ، أو جودة اللفظ، وأن يريد به كليهما، وأن يريد ما هو أعم منهما، وقال الطيبي: هو الكامل الحفظ الذي يتوقف في القراءة ولا يشق عليه.

(٣) جمع سافر، وهم الرسل إلى الناس برسالات الله تعالى، وقيل: السفرة الكتبة ذكره الطيبي ــ رحمه الله، والسفرة جمع سافر ككتبة وكاتب، والسافر الرسول، والسفرة الرسل؛ لأنهم يسفرون إلى الناس برسالات الله، وقيل: السفرة الكتب، والبررة المطيعون من البر وهو الطاعة.

(٤) هو الذي يتردد في تلاوته لضعف حفظه، فله أجران: أجر بالقراءة، وأجر بتتعتعه في تلاوته ومشقته.

(٥) وهذا تحريض على تحصيل القراءة، وليس معناه أن الذي يتتعتع فيه له من الأجر أكثر من الماهر، بل الماهر أفضل وأكثر أجراً من السفرة، وله أجور كثيرة حيث اندرج في سلك الملائكة المقربين، أو الأنبياء والمرسلين، أو الصحابة المقربين. ينظر: ((فتح الملهم)): (١٧٤/٥).

(٦) ((صحيح مسلم)): كتاب فضائل القرآن ــ باب فضل الماهر بالقرآن، والذي يتتعتع فيه، رقم: ١٨٥٩.

رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ، فَيَرْضَى عَنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقَ، وَيُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً»، رواه الترمذي والحاكم[1]، وفي أخرى: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْقَ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا» أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم[2]، وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ

---

(١) ((سنن الترمذي)): كتاب فضائل القرآن، رقم: ٢٩١٥، وقال: هذا حديث حسن، ((المستدرك)): (٧٣٨/١)، رقم: ٢٠٢٩، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٢) ((مسند أحمد)): (٤٠٤/١١)، رقم: ٦٧٩٩، ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ــ باب استحباب الترتيل في القراءة، رقم: ١٤٦٤، ((سنن الترمذي)): كتاب فضائل القرآن، رقم: ٢٩١٤، قال الخطابي: جاء في الأثر أن عدد آي القرآن على قدر درج الجنة في الآخرة، فيقال للقاري: ارق في الدرج على قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن، فمن استوفى قراءة جميع القرآن، استولى على أقصى درج الجنة في الآخرة، ومن قرأ جزءاً منه كان رقيه في الدرج على قدر ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة. ينظر: ((تحفة الأحوذي)): لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت ١٣٥٣هـ): (١٨٧/٨).

نَسَبُهُ» رواه مسلم[1]، وفي رواية أخرى: «إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ قَالَ: «فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لاَ

---

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ــ باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم: ٦٧٩٣ .

وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ» رواه البخاري ومسلم[1]، ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾.

كذلك من خاصَّة الذكر، "جلسة نصف ساعة" ما ذكره شيخي وأستاذي وسندي في علوم الكتاب والسنة؛ العالم الربَّاني الدكتور عبد الله بن مولانا وشيخنا؛ حضرة الشيخ مصطفى كمال الدين الهرشمي ـ طيَّب الله روحهما وذكرهما وثراهما، في "معالم الطريق"، قائلاً: الغفلة عن الله تعالى مصيبة دهياء تصيب الإنسان في حياته الدنيوية المؤقتة وينساق شرورها معه إلى حياته الأخروية الدائمة. والوقوع فيها مع ذلك أسهل ما يكون إلا إذا انتبه الإنسان على نفسه،

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الدعوات ــ باب فضل ذكر الله ــ عزَّ وجلَّ، رقم: ٦٤٠٨ ((صحيح مسلم)) كتاب الذكر والدعاء والتوبة ــ باب فضل مجالس الذكر، رقم ٢٦٨٩.

فانتبه إلى ربّه، وكرر هذا الانتباه عدة مرات في يومه إن لم يستطع إدامة الانتباه طوال أوقاته. ولعلك تعي من هذه الحقيقة منفعة الإنسان العظمى من توزيع الصلوات المكتوبة على الخمسة الأوقات. ولعلك تفهم أيضاً وجه استحسان السنن والتطوعات. فإن الصلاة تذكر بالله ﷻ، ومن يذكر الله يرتدع عن الفحشاء والمنكر.

ولما كانت الغفلة علة دهياء وآفة نكراء لزم الإنسان الحصيف أن يستزيد من أسباب الوقاء والشفاء. فلنصف في هذه النبذة مزيداً مما يمنع وينجع، وفي النبذة التالية ما هو أدفع وأنجع.

يومك ـ أيها الإنسان ـ نهار وليل، أربع وعشرون ساعة لا حول لك ولا طول في زيادة منها أو نقصان. وأنت تصنع بهذه الساعات كيف تشاء. فهلا جعلت نصف ساعة منها لربك: لك ثلاث وعشرون ساعة ونصف ساعة؛ ولربك نصف ساعة حسب. قسمة ضيزى، لكنها الحد الأدنى الذي

يقدر عليه كل إنسان. عيّن أي وقت تشاء من أوقات فراغك في ليل أو نهار: فاقعد أو اجلس طاهراً مستقبلاً القبلة واقرأ من حفظك كما في صلاة السر ((الفاتحة)) مرة واحدة، و((آية الكرسي)) مرة واحدة، و((سورة الإخلاص)) ثلاث مرات؛ فصلِّ على رسول الله ﷺ ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً أو تسعاً كما تشاء؛ فاغمض عينيك (حتى لا تشغلاك) واذكر الله جل جلاله بفكرك في رأسك (دونما لفظ ولا كلام) كما تذكر ابنك أو أمك أو أباك؛ وابق ذاكراً ربك شاغلاً فكرك به وحده دون ما سواه إلى آخر الوقت المخصوص ـ النصف الساعة أو نحوه. ثم واظب على هذا الذكر الخفي مرة كل يوم تجد منافع الرحمة والخشوع وانشراح الصدر وقوة الإرادة. وتذكّر قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾[1].

(١) سورة البقرة.

هذا للمسلمين كل المسلمين. وللناس كل الناس أن يذكروا الله على الوجه الذي وصفنا وإن لم يتلوا ما أسلفنا: عسى الله الغفور الرحيم أن يشرح صدورهم للإيمان بالحي القيوم الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وبملائكته وكتبه ورسله دون تفريق بين رسله ولا اغترار بسلطان هذه الدنيا التي يعلم كلنا أنها فانية.

أما السائرون في نهج الروح فهم لا يقتصرون في عملهم الروحاني على النصف ساعة ووردها. إن للسائر جلسة خاصة بالنهار بعد صلاة الفجر حتى شروق الشمس، وجلسة بالليل بين صلاتي المغرب والعشاء أو بعد العشاء حينما يفرغ. وإنه يذكر الله كثيرا مابين هذين الوقتين أثناء نهوضه بأعماله الدنيوية، فهو يسعى أن يكون ممن قال فيهم رب العالمين: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ

وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴿٣٧﴾﴾[1] وإنه إذا شغله عائق عن جلسة عقد الجلسة في وقت آخر. وهو يقرأ في جلساته (مخفتاً كما في صلاة السر) الأذكار والأوراد التي يرشده إليها مرشده العالم مما في الكتاب المجيد والسنة المطهرة. ثم يضيف السائر إلى هذه الأعمال تلاوة القرآن العظيم، ومراجعة الحديث النبوي الكريم، ومطالعة الكتب في ثقافة الإسلام، ومصاحبة المؤمنين الصادقين السائرين لمرضاة رب العالمين. اهـ.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾.

ومراتب الإحسان ثلاثة:-

أولاً: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» أي: العمل بالدين الكامل الصالح، مع الهمة والتحمل في سبيل الله تعالى.

---

(١) سورة النور.

ثانياً: «فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ» أي : الحضور بالفكر والقلب لله ﷻ، في ساعات الليل والنهار، وهي: "المراقبة" وهي: عدم الغفلة؛ في الحضور والذكر، والخضوع والخشوع لله ﷻ.

ثالثاً: «فَإِنَّهُ يَرَاكَ» فهو: تحقيق الذكر بالمذكور، ونسيان السوى، والتجلي من المولى ـ جلَّ وعلا، وهي "المشاهدة"، وهي: وجود الحقّ، مع فقد الخلْق، "أي بالقلب"؛ لتكون رعاية الحق تعالى، ومراقبته بعين عنايته، ورعايته، وحسن حمايته ـ جلَّ في علاه. وقد جمعت الآية الكريمة، هذه المراتب العلية، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ[1] ﴿٢٣﴾﴾[2].

---

(١) سورة هود.

(٢) وهذا من جوامع كلمه ﷺ: إذ هو شامل لمقام المشاهدة، ومقام المراقبة، ويتضح لك ذلك بـأن تعـرف أن للعبد في عبادته ثلاثة مقامات: الأول: أن يفعلها على الوجه الذي تسقط مع وظيفة التكليـف باسـتيفاء الشرائط والأركان.

الثاني: أن يفعلها كذلك، وقد استغرق في بحار المكاشفة، حتى كأنه يرى الله تعالى، وهذا مقامه ﷺ، كما قال: «وجعلت قرة عيني في الصلاة» لحصول الاستلذاذ بالطاعة، والراحة بالعبـادة، وانسـداد مسـالك

ـ روى الإمام القشيري في "التحبير والتذكير، شرح أسماء الله الحسنى": أن أبا الحسين النوري بقى سبعة أيام قائماً لم يأكل ولم يشرب ولم ينم، وهو يقول: الله الله. فأُخبر الجنيد بذلك، فقال: انظروا أمحفوظةٌ عليه أوقاته أم لا؟، فقيل له: إنه يصلي الفرائض. فقال: الحمد لله الذي لم يجعل للشيطان سبيلا، ثم قال: قوموا نَزره فإما نستفيد منه أو نفيده، فدخل عليه فقال: يا أبا الحسن، ما الذي دهاك؟.

فقال: أقول: الله الله ... زيدوا عليَّ.

فقال الجنيد: انظر هل قولك الله بالله أم بقولك أنت؟ فإن كان بالله فلست القائل له، وإن كان قولك لنفسك فأنت مع نفسك؛ فما معنى الوله والحيرة؟ فقال: نِعْمَ المؤدب أنت،

الالتفات إلى الغير باستيلاء أنوار الكشف عليه، وهو ثمرة امتلاء زوايا القلب من المحبوب، واشتغال السر به، ونتيجته نسيان الأحوال من المعلوم، واضمحلال الرسوم.

الثالث: أن يفعلها وقد غلب عليه أن الله تعالى يشاهده، وهذا هو مقام المراقبة، فقوله: «فإن لم تكن تراه» نزول عن مقام المكاشفة إلى مقام المراقبة، أي: إن لم تعبده وأنت من أهل الرؤية المعنوية فاعبده، وأنت بحيث أنه يراك، وكل من المقامات الثلاث إحسان إلا أن الإحسان الذي هو شرط في صحة العبادة إنما هو الأول؛ لأن الإحسان بالآخرين من صفة الخواص، ويتعذر من كثيرين. قاله أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني (ت ٩٢٣هـ) في ((إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري)): (٤٠/١).

وسَكَنَ ولهُ[1]. كما قال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ أَرْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمًّا، وَلا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ» ثُمَّ قَالَ: «يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ، أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَةً هِيَ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ» رواه البخاري ومسلم واللفظ له[2].

وإنَّ صدقة السر على العموم أفضل من صدقة العلانية، كما قال رسول الله ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، "وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ

---

(١) ((التحبير في التذكير، شرح أسماء الله الحسنى)): لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ): (ص٢٣، ٢٤).

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب المغازي ــ باب غزوة خيبر، رقم: ٦٣٨٤ ((صحيح مسلم)): كتاب الدعاء والتوبة والاستغفار ــ باب استحباب خفض الصوت بالذكر، رقم: ٢٧٠٤، واللفظ له.

تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ"، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» متفق عليه[1].

اللّهمَّ؛ إني أسألك إيماناً دائماً، وقلباً خاشعاً، وعلماً نافعاً، ويقيناً صادقاً، وديناً قيماً، والعافية في كل بلية، وتمام العافية، دوام العافية، والشكر على العافية، والغنى عن الناس، آمين.

المرتبة الرابعة: ما يدور عليه ديننا الحنيف؛

" أيها السادة" دين الله الإسلام: يدور على ثلاثةٍ:-

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الزكاة ــ باب الصدقة باليمين، رقم: ١٤٢٣، ((صحيح مسلم)): كتاب الزكاة ــ باب فضل إخفاء الصدقة، رقم: ٢٣٧٧، قال عياض: اشتمل حديث الباب على تعظيم أمر الجهاد؛ لأن الصيام وغيره مما ذكر من فضائل الأعمال، قد عدلها كلها الجهاد حتى صارت جميع حالات المجاهد وتصرفاته المباحة معادلة لأجر المواظب على الصلاة وغيرها، ولهذا قال ﷺ: (لا تستطيع ذلك) وفيه أن الفضائل لا تدرك بالقياس وإنما هي إحسان من الله تعالى لمن شاء، واستدل به على أن الجهاد أفضل الأعمال مطلقاً لما تقدم تقريره، وقال بن دقيق العيد القياس يقتضي أن يكون الجهاد أفضل الأعمال التي هي وسائل؛ لأن الجهاد وسيلة إلى إعلان الدين ونشره، وإخماد الكفر ودحضه، ففضيلته بحسب فضيلة ذلك والله أعلم. ينظر: ((فتح الباري)): (٦/٥).

الأولى: القصد، وهي: "النية"، فالمرء يصاب بنيته، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾[1]، وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»، رواه البخاري ومسلم وأبو داود، وغيرهم[2]، "والنية": ثلث الدين، ومحلها القلب، "والنية" شرط لقبول العبادات، وعليها مدار الدين وأحكامه؛ في الواجبات، وفي المستحبات، وفي المباحات؛ وهو "إخلاص العمل بالدين لوجه الله ﷻ".

قال العلّامة الكِرماني: في شرح صحيح الإمام البخاري: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»، هو جمع النية، وهو القصد إلى الفعل،

---

(١) سورة آل عمران.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب بدء الوحي ــ باب كيف كان بدء الوحي، رقم: ١، ((صحيح مسلم)): كتاب الإمارة ــ باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية»، وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال، رقم: ١٩٠٧، ((سنن أبي داود)): كتاب الطلاق ــ باب فيما عني به الطلاق والنيات، رقم: ٢٢٠١.

وهذا التركيب مفيد للحصر اتفاقاً من المحققين؛ أي: لا عمل إلا بالنية، فقيل: لأن الأعمال جمعٌ محكي باللام مفيدٌ للاستغراق، وهو مستلزم للقصر؛ إذ معناه: كل عمل بالنية، فلا عمل إلا بالنية، وإلا فلا يصدق كل عمل إلا بالنية[1].

الثانية: الورع، وهو: اجتناب الشبهات خوفًا من الوقوع في المحرمات، كما قال رسول الله ـ ﷺ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» متفق عليه[2]، قال جماعة: هو ثلث الإسلام، وأن الإسلام يدور

---

(١) ((الكواكب الدَّراري في شرح صحيح البخاري)): لشمس الدين محمّد بن يوسف الكرماني، (ت٧٨٦هـ): (١٧٧ ، ١٧٨).

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب الإيمان ــ باب فضل من استبرأ لدينه، رقم:٥٢، ((صحيح مسلم)): كتاب المساقاة ــ باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم: ٤٠٧٠،

عليه وعلى حديث: "الأعمال بالنية"، وحديث: «من حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مالا يَعْنِيهِ» رواه مالك وأحمد والترمذي وابن ماجه[1]، وفي أخرى: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ» رواه أحمد وأبو داود والترمذي[2]، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: وهذا هو الورع، وبه يحصل كمال التقوى، كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن ماجه: «لا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا مِمَّا بِهِ بَأْسٌ»[3].

وزاد الحافظ أبو داود السجستاني: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» رَوَاهُ الخَمْسَةُ إلا أَبَا

(١) ((موطأ الإمام مالك)): كتاب الجامع ــ باب ما جاء في حسن الخلق، ((مسند أحمد)): (٢٥٩/٣)، رقم: ١٧٣٧، ((سنن الترمذي)): كتاب الزهد، رقم: ٢٣١٧، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الفتن ــ باب كف اللسان في الفتنة، رقم: ٣٩٧٦.

(٢) ((مسند أحمد)): (٢٤٩/٣)، رقم: ١٧٢٣، ((مسند أبي داود الطيالسي)): (٤٩٩/٢)، رقم: ١٢٧٤، ((سنن الترمذي)): صفة القيامة والرقائق والورع، رقم: ٢٥١٨. قال الألباني: صحيح.

(٣) ((سنن الترمذي)): كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم: ٢٤٥١، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الزهد ــ باب الورع والتقوى، رقم: ٤٢١٥.

دَاوُدَ[1]، وورد عنه ـ عليه السّلام: «الورع الدين». وحقيقة الورع: إمساك العين عن التلذذ بالزهرات، وإمساك النفس عن الشهوات، وإمساك القلب عن الغفلات، وإمساك الروح عن الفترات، وإمساك السر عن الالتفات. قالوا: ملتفت لا يصل، ومتسلل لا يفلح.

الثالثة: الأدب، وهو: عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[2]، قال العلّامة علاء الدين علي البغدادي، في "تفسيره": ولما كانت أخلاق رسول الله ﷺ كاملة حميدة، وأفعاله المرضية الجميلة وافرة؛ وصفها الله تعالى بأنها عظيمة. وحقيقة الخُلُقُ: قوة نفسانية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الحميدة، والآداب المرضية، فيصير كالخِلْقَة في صاحبه،

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الإيمان ــ باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم: ١٣، ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان ــ باب الدليل على أن من خصال الخير أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، رقم: ١٦٨، ١٦٩، ((سنن الترمذي)): كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم: ٢٥١٥، ((سنن النسائي)): كتاب الإيمان وشرائعه ــ باب علامة الإيمان، رقم: ٥٠١٦، ٥٠١٧.

(٢) سورة القلم.

ويدخل في حسن الخلق التحرز من الشح والبخل والتشديد في المعاملات، فيستعمل في حسن الخلق التحبب إلى الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الأدب والمعاشرة بالمعروف مع الأقارب والأجانب، والتساهل في جميع الأمور، والتسامح بما يلزم من الحقوق، وترك التقاطع والتهاجر، واحتمال الأذى من الأعلى والأدنى مع طلاقة الوجه وإدامة البشر؛ فهذه الخصال تجمع جميع محاسن الأخلاق، ومكارم الأفعال؛ ولقد كان جميع ذلك في رسول الله ﷺ، ولهذا وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[1]، كما قال أكمل الرسل ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» رواه أحمد والحاكم[2]، وفي أخرى: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي

---

(١) ((لباب التأويل في معاني التنزيل)): لأبي الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ): (٤/٢٢٣).

(٢) ((مسند أحمد)): (١٤/٥١٣) رقم: ٥١٣، ((المستدرك)): (٢/٦٧٠)، رقم: ٤٢٢١، قال الذهبي: على شرط مسلم، وقال الألباني: صحيح.

لِتَمَامِ مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَتَمَامِ مَحَاسِنِ الأفْعَالِ» رواه البغوي في "شرح السُّنَّة"[1].

وقال أكمل الرسل ﷺ: «إِنَّ الْمُسْلِمَ الْمُسَدِّدَ، لَيُدْرِكُ دَرَجَةَ الصَّوَّامِ الْقَوَّامِ بِآيَاتِ اللهِ، بِحُسْنِ خُلُقِهِ، وَكَرَمِ ضَرِيبَتِهِ[2]»، رواه أحمد[3]، وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا» رواه الترمذي[4]. قالوا: عليكم بالأدب، فإن الأدب باب الأَرب، وهو: مصاحبة الخلق في الشفقة، واجتناب المن في النفقة.

---

(١) ((شرح السنة)): لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٦هـ)، ((٢٠٢/١٣)، رقم: ٣٦٢٢.

(٢) الضريبة: الطبيعة والسَّجيَّة ينظر: ((غريب الحديث)): للخطابي (٧٠٢/١) ، و((تاج العروس)) (ض ر ب) .

(٣) ((مسند أحمد)): (٢٠٦/٦)، رقم: ٦٦٤٨.

(٤) ((سنن الترمذي)): كتاب البر والصلة ــ باب ما جاء في معالي الأخلاق، رقم: ٢٠١٨. قال الألباني: صحيح.

سُئل الحسن البصري ﷺ، عن أنفع الأدب؟، فقال: التفقه في الدين، والزهد في الدنيا، والمعرفة بحقوق الله تعالى على عبده، وقال: ملاك الدين الورع، وفساد الدين الطمع.

اللّهمَّ؛ بحمدك وثنائك ومجدك، أصبحت وأمسيت غريباً في أرضك، أعبدك وأستعين بك؛ فاهدني سبل السّلام بالنور والبيان، وأخرجني من الظُّلمات إلى النّور، واهدني إلى صراطٍ مستقيم، يا موجود قبل كلِّ موجود، يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن، ضاقت علينا الأرض بما رحبت، وضاقت علينا أنفسنا، لا ملجأ منك إلّا إليك وتب علينا لنتوب أنك أنت التواب الرّحيم، صلِّ على النَّبيِّ المصطفى الأمين، وعلى آله وأصحابه، ومن والاه ـ إلى يوم الدين ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

المرتبة الخامسة: مقام المحبة ومراتبها.

"أما المحبة"، فقد قال الله تعالى: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴿٥٤﴾ ﴾، فالمحبة، هي: ركن العبادة الأعظم، وهي: ميل دائم، بقلب هائم؛ ويظهر هذا الميل، أولاً: على الجوارح الظاهرة بالاتباع، "وهذا هو الأساس". وثانيها: على القلوب الصادقة؛ بالتصفية والافتقار. وثالثها: الصحو والتمكين، في شهود المحبوب. وبدايتها: "طاعة وخدمة"، ووسطها: "هيام وافتقار"، ونهايتها: "انشراح وبقاء"؛ أي: كأنه يراه ـ جلَّ في علاه؛ في مقاميّ الأنس والعرفان.

ـ والمحبة: سر القبول والإقبال للمولى ﷻ، وهي جوهر الدين، وروح التقوى، ومنازل القرب إلى الله ـ جلَّ وعلا؛ فيكون القلب عندئذ، مشكاة نور من الفيوضات الإلهية ـ سمواً وهدى، وقلب الصالح إناء يعكس نور الحق فيه، "والمحبة": أي أن يكون القلب من آنية الله، كما قال أكمل الرسل ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إِنَّ لِلَّهِ آنِيَةً مِنْ أَهْلِ

الْأَرْضِ، وَآنِيَةُ رَبِّكُمْ قُلُوبُ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، وَأَحَبُّهَا إِلَيْهِ: أَلْيَنُهَا وَأَرَقُّهَا»، رواه الطبراني[1]، وعن أبي موسى، قال: قام فينا رسولُ الله ﷺ، بخمسِ كلمات، فقال: «إِنَّ اللهَ ﷻ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» رواه مسلم[2]، قال الإمام النوويُّ في "شرح صحيح مسلم": والسُّبُحَات جمع سُبْحَة: وهيَ ما يفيض عن الذات الجميلة من لآلئ النور، ونوابض الحسن، وأشعَّة الجمال. قال أكمل الرسل ـ صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلّم: «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَكَ، اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ، اللَّهُمَّ

---

(١) ((مسند الشاميين)): لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، الطبراني (ت: ٣٦٠هـ): (١٩/٢)، رقم: ٨٤٠.

(٢) ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان ــ باب في قوله ــ عليه السلام: «إن الله لا ينام»، رقم: ٢٩٣.

وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ فَرَاغًا لِي فِيمَا تُحِبُّ» رواه الترمذي[1].

ومراتب المحبة ثلاثة:-

أولاً: الحبّ الحقيقي، وهو: حب الذات العلية، وهو: الحبّ الحقيقي؛ أي: أنك تحب الله لذاته، وهذه حقيقة التوحيد، وأن تحب ما يحبه الله لله، فلا تحب إلا لله، ولا تبغض إلا لله، كما قال ـ جلَّ مجده: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ١٦٥﴾[2]، وقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم: «إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللهِ»، رواه الإمام أحمد[3].

ثانياً: الحبّ القبولي، وهو: أن تحبّ وتطيع رسول الله ﷺ "لله"، وذلك "لحب الله فيه وأمره تعالى"، كما قال ـ جلَّ

---

(١) ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات، رقم: ٣٤٩١، وقال: حديث حسن.

(٢) سورة البقرة.

(٣) ((مسند أحمد)): (٤٨٨/٣٠)، رقم: ١٨٥٢٤، قال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن بشواهده.

ثناؤه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [(١)]، وهذا لكمال الإيمان، كما جاء في الصحيح: عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هِشَامٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ»[(٢)]، "وهذا لكمال الإيمان". فتأمل.

ثالثاً: الحبّ الكمالي، وهو: أن تحبّ من أحبّ الله، "لله"، وليس مع الله؛ "وهذا لكمال الحبّ بالله تعالى"، كما قال أكمل الرسل ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ»، قَالَ

---

(١) سورة آل عمران.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب الأيمان والنذور ـــــ باب كيف كان يمين النبي ﷺ، رقم: ٦٦٣٢ .

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا ثُمَّ تَعَلَّمُوهَا» رواه أحمد والترمذي[1].

ـ ومن ذلك: الإيمان بحب آل البيت الأطهار ـ رضوان الله عليهم والسّلام، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ ﴿٢٣﴾﴾[2]، وقال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[3]، وقال ﷺ: «أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي» رواه مسلم[4]، فمن أراد الله به خيراً ألزمه وصية نبيه ﷺ في آل بيته ـ عليهم السّلام .

---

(١) ((مسند أحمد)): (٢٠١/١٦)، رقم: ٢٢٠٠٨، ((سنن الترمذي)): كتاب تفسير القرآن ـــ باب في تفسير ص، رقم: ٣٢٣٥، وقال الترمذي: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ سَأَلْتُ مُحَمَّدَ بن إسماعيل [أي: الإمام البخاري] عن هذا الحديث فقال: هذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ. ثم ذكر أنه أصح من حديث الوليد بن مسلم.

(٢) سورة الشورى.

(٣) سورة الأحزاب.

(٤) ((صحيح مسلم)): كتاب الفضائل ـــ باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، رقم: ٢٤٠٨.

ـ ومن ذلك: الإيمان بحب الصحابة الكرام ـ رضوان الله تعالى عليهم جميعاً، كما قال ـ سبحانه وتعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩ ﴾ [1]، وورد حديث: «أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ»، وهذه الرواية مدلولها صحيح، دون النظر إلى سندها، وهي مؤيدة بحديث صحيح بمعناها؛ لما روى مسلم في صحيحه، قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله

---

(١) سورة الفتح.

وسلّم: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ» رواه مسلم[1]، فيجب ذكر محاسنهم، ومحبتهم، والثناء عليهم، وتبركوا بذكرهم، واعملوا على التخلق بأخلاقهم ـ رضي الله عنهم أجمعين.

ـ ومن ذلك: الإيمان بحب أولياء الله وأحبابه، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾[2]، الولي من وادَّ الله، وآمن به واتقاه، فلا تحادُّ من وادَّ الله، جاء في الحديث القدسي: « مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ» رواه البخاري[3]، الله يغار لأوليائه، ينتقم لهم ممن

---

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب الفضائل ــ باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة، رقم: ٢٥٣١.

(٢) سورة يونس.

(٣) ((صحيح البخاري)): كتاب الرقائق ــ باب التواضع، رقم: ٦٥٠٢.

يؤذيهم، ويكرمهم بصون محبتهم، فيحبك لمحبته عليهم، هم أخص المخاطبين بآية: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۚ ﴿٣١﴾ ﴾[1]، عليكم بمحبتهم، والتقرب إليهم، تحصل لكم بهم من الله البركة، والمرء مع من أحب، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴿٥٤﴾ ﴾[2]، وقال ﷺ: «أولياءُ اللهِ الذينَ إذا رُؤوا ذُكِرَ اللهُ». رواه البزار[3].

قال الشيخ أبو العبَّاس ابن تيمية في "الفتاوى": فإنك إذا أحببت الشخص لله كان الله هو المحبوب؛ فكلما تصورته في قلبك تصورت محبوب الحق فأحببته، فازداد حبك لله، كما إذا ذكرت النبيّ ﷺ، والأنبياء قبله والمرسلين وأصحابه الصالحين وتصورتهم في قلبك؛ فإن ذلك يجذب قلبك إلى

---

(١) سورة فصلت.

(٢) سورة المائدة.

(٣) قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٨٠/١٠): رواه البزار عن شيخه علي بن حرب، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. قال الألباني: "صحيح" أنظر حديث رقم: ٢٩٨٧ في "صحيح الجامع"، و ((السلسلة الصحيحة)): حديث رقم: ١٧٣٣.

محبة الله المنعم عليهم، وبهم، إذا كنت تحبهم لله؛ فالمحبوب لله يجذب إلى محبة الله، والمحب لله إذا أحب شخصاً لله؛ فإن الله هو محبوبه، فهو يحب أن يجذبه إلى الله تعالى، وكل من المحب لله والمحبوب لله يجذب إلى الله.[1]

ـ قال أكمل الرسل ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ[2]، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا[3]؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ ﷻ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ» رواه مسلم[4]، وفي الحديث الصحيح قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى» قَالُوا:

---

(١) ((الفتاوى)): (١٠/ ٦٠٨).

(٢) معنى "أرصده": أقعده يرقبه، والمدرجة: بفتح الميم والراء، هي الطريق، سميت بذلك لأن الناس يدرجون عليها، أي: يمضون ويمشون.

(٣) أي: تقوم عليها، وتسعى في صلاحها عنده، وتنهض بسببها.

(٤) ((صحيح مسلم)): كتاب البر والصلة والآداب ــ باب في فضل الحب في الله، رقم: ٦٤٩٥.

يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ، قَالَ: «هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ، وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ» وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ ، رواه أبو داود[1]. قال الحافظ أبو نُعيم في"الحلية": وَمِنْ نُعُوتِهِمْ: أَنَّهُمُ الْمُوَرِّثُونَ جُلَّاسَهُمْ كَامِلَ الذِّكْرِ، وَالْمُفِيدُونَ خِلَّانَهُمْ بِشَامِلِ الْبِرِّ[2]؛ "وأولئك هم الأولياء حقا".

وفي روايةٍ أخرى: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ، قِيلَ: مَنْ هُمْ لَعَلَّنَا نُحِبُّهُمْ؟، قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِنُورِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ أَرْحَامٍ وَلَا انْتِسَابٍ، وُجُوهُهُمْ نُورٌ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ

---

(١) ((سنن أبي داود)): كتاب الإجارة ــ باب في الرهن، رقم: ٣٥٢٧، قال الألباني: صحيح.

(٢) ((حلية الأولياء)): (٥/١).

ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ رواه ابن حبان في "صحيحه"[1].

قال تعالى: ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣﴾[2]، قال عكرمة: ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا الفرح شكراً، والحزن صبراً[3]. قال الإمام جعفر الصادق ـ رضوان الله تعالى عليه: يا ابن آدم مالك تأسف على مفقود لا يردّه إليك الفوت، وما لك تفرح بموجود لا يتركه في يدك الموت[4].

إلـهي؛ غلّقت الملوك أبوابها، وبابك مفتوح للسائلين. إلـهي؛ غارت النُّجوم، ونامت العيون، وأنت الحيّ القيّوم الذي {لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ}. إلـهي؛ فرشت الفرش وخلا كل حبيب بحبيبه، وأنت حبيب المجتهدين، وأنيس

---

(١) ((صحيح ابن حبان)): (٣٣٢/٢)، رقم: ٥٧٣، قال الألباني: صحيح.

(٢) سورة الحديد.

(٣) ((شعب الإيمان)): (٣٩٧/١)، رقم: ٢٣٤.

(٤) ((حلية الأولياء)): (٦٠/١٠)، ((شعب الإيمان)): (٣٩٧/١)، رقم: ٢٣٣.

المستوحشين. إلهي؛ إن طردتني عن بابك فإلى باب من التجئ. إلهي، إن قطعتني عن جنابك فجناب من ارتجي. إلهي؛ إن عذبتني فإني مستحق للعذاب والنقم، وإن عفوتني فأنت أهل الجود والكرم. يا سيدي لك أخلص العارفون، وبفضلك نجا الصالحون، وبغفرانك أناب المقصّرون، يا جميل العفو، أذِقني برد عفوك وحلاوة معرفتك، وإن لم أكن لذلك أهلاً، فإنّك أهل التقوى وأهل المغفرة. صلِّ على الحبيب المحبوب، حبيب ربّ العالمين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه ومن والاه إلى يوم الدين ـ بعدد كلِّ لمحة ونفس، وبعدد كلِّ معلومٍ لك، يا اللهُ، آمينَ آمينَ آمين.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾

المرتبة السادسة: العلم وتحقيقه؛

فالعلم، هو: إدراك، ولا إدراك من دون حياة، ولا حياة دون روح، فلا علم دونما روح؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴿٢٨﴾ ﴾، فالعلم: اسلام الوجه لله تبارك وتعالى. فهو عبادةٌ وخشية.

ومراتب دلالة العلم ثلاثة:-

المرتبة الأولى: دلالة الكتاب والسنة، وبشريعة الله الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾[1] أي: كل ما أمركم به فخذوه، وكل ما نهاكم عنه فاحذروه واجتنبوه، فلكل عبدٍ سائر بأحواله إلى الله، أمور

(١) سورة الحشر.

ثلاث:١ـ أوامر يمتثلها. ٢ـ ونواهي يجتنبها.٣ـ وقدر يرضى به؛ وعلامة رضاء الله، الرضا بما قدر الله.

المرتبة الثانية: ما يراد من دلالة الكتاب والسنة بأدلة الشريعة الغراء، وهذا ينقسم إلى قسمين:-

القسم الأول: "علم العامة"، وهو: المتألف من الأحكام التي لا يسع إنساناً بالغاً عاقلاً من الذكور والإناث إلا العلم بها ما دام فرداً من أفراد الأمة، وهو: "المعلوم من الدين بالضرورة" أو "علم الدين الضروري الواجب"، كما قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴿٣٠﴾﴾ [(١)]، وقال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [(٢)].

(١) سورة الروم.

(٢) سورة البقرة.

القسم الثاني: "علم الخاصة"، وهو: المتكون من الأحكام والقواعد القانونية المفصلة التي يختص بمعرفتها الفقهاء والمجتهدون دون سائر الناس، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۝٨٣﴾ [1]، فإنَّ من العلم ما يدرك بالتلاوة والرواية، وهو "النّص"، ومنه ما يدرك بالاستنباط، وهو: على المعاني المودعة في النصوص وهي: "الأحكام".

المرتبة الثالثة: وهي تحقيق العلم، وهي: حقائق العلوم، وهو: علم أهل المعرفة بالله؛ كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۝٤٩﴾ [2]، وقال ـ جلَّ مجده: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ

---

(١) سورة النساء.

(٢) سورة العنكبوت.

ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾(١)،

وهي: إحكام الأحكام. والحكمة: سر النبوة، وفُسِّرَتْ بأنها: شيء يجعله الله في القلب ينور له به، قال مجاهد: هي القرآن والعلم والفقه. وقال الحسن: من أُعطي القرآن فكأنّما أُدرجت النبوّة بين جنبيه إلّا أنه لم يُوحَ إليه. فالحكمة، هي: العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه والعمل بمقتضاها؛ من علم وعمل وحال بالله تعالى، قال أكمل الرسل ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ،

---

(١) سورة البقرة.

وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ» متفق عليه[1].

قال القرطبي وغيره: ضرب النبي ﷺ لما جاء به من الدين مثلاً بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه، وكذا كان حال الناس قبل مبعثه. فكما أن الغيث يحيي البلد الميت، فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت، ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث، فمنهم العالم العامل المعلّم فهو بمنزلة الأرض الطيبة، شربت فانتفعت في نفسها، وأنبتت فنفعت غيرها. ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه، غير أنه لم يعمل بنوافله، أو لم يتفقه فيما جمع، لكنه أدّاه لغيره، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به، وهو المشار إليه بقوله: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا»، ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره، فهو

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب العلم ــ باب فضل من علم وعلَّم، رقم: ٧٩، ((صحيح مسلم)): كتاب الفضائل ــ باب بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم، رقم: ٢٢٨٢.

بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها، وإنما جمع في المثل بين الطائفتين الأوليين المحمودتين، لاشتراكهما في الانتفاع بهما، وأفرد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها))[1].

قلت: شرط العالم أن يعظ نفسه، ويبلغ أمانة دين الله الإسلام لأمة خاتم النبيين ورسل الله ـ صلوات ربّي عليه، وعليهم أجمعين إلى يوم التناد؛ فهو بين الإنابة والتبليغ سيراً برحمة الله إلى ذات رحمته ـ جلَّ في علاه.

اللَّهمَّ إنا نسألك إيمانًا دائمًا، ونسألك قلبًا خاشعًا، ونسألك علمًا نافعًا، ونسألك يقينًا صادقًا، ونسألك دينًا قيمًا، ونسألك العافية فى كل بلية ، ونسألك تمام العافية ، ونسالك دوام العافية، ونسألك الشكر على العافية ، ونسألك الغنى عن الناس، آمينَ آمين ـ يا أرحم الراحمين.



(١) ينظر: ((فتح الباري)): (١/١٧٧).

المرتبة السابعة: الدعوة في سبيل الله، ومنازلها؛

فالدعوة: مشتقة من الدعاء وهو الطلب، وفي الشرع: قول يطلب من الإنسان إثبات حق على الغير، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ ﴿١٠٨﴾ ﴾، قل للناس يا نبي الله، هذه طريقي التي أدعو إليها، وهي السبيل الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته، المتضمنة للعلم بالحقِّ والعمل به وإيثاره، وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له، {أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ}، حجة واضحة، وعلم صحيح، {أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي}، أي: يقفوا أثري على ذلك، بحسب ما يعطي، لأنَّ دعايته عامة لكلِّ وجه بِر، وعلى الأثر دعايتهم على أنواعٍ منها؛ كدعاية العارفين ـ إلى المحبة والعرفان، ودعاية العلماء ـ إلى الشرع والإتباع؛ والجمع بينهما هو طريق أهل الله، والدعوة في سبيل الله، هي شعار

الأنبياء. والدعوة مشتقة من الدعاء، وهو الطلب، وفي الشرع: قول يطلب من الإنسان إثبات حق على الغير، كما أسلفنا.

ومراتب الدعوة ثلاثة: ١ـ التبليغ، ٢ ـ والتأليف ٣ ـ والتربية.

١ـ أما التبليغ: فهو الإيصال، وقيل: هو عرض وإيصال التعاليم والإرشادات السماوية الإسلامية، والمعارف الإلهية للناس، وتبشير الناس، برحمة الله، ونعيم الجنان، وتحذيرهم من مخالفة أوامر الله عزّ وجلّ من التوحيد والأحكام والأخلاق؛ كما قال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ ٦٧ ﴾ [1]، وقال ـ جلّت عظمته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ

(١) سورة المائدة.

وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾[1]،

وقال أكمل الرسل ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، رواه أحمد وأبو داود(٢)، وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً» رواه البخاري[3].

وقال ـ جلَّ شأنه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[4]، وهي النصيحة، والنصيحة: هي الدعاء

---

(١) سورة البقرة.

(٢) ((مسند أحمد)): (٢١٤/١٤)، رقم: ٨٥٣٣ ((سنن أبي داود)): كتاب العلم ــ باب كراهية منع العلم، رقم: ٣٦٥٨.

(٣) ((صحيح البخاري)): كتاب أحاديث الأنبياء ــ باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم: ٣٤٦١، قال المظهري: أي بلغوا عني أحاديثي، ولو كانت قليلة. قال البيضاوي ــ رحمه الله: قال: "ولو آية" ولم يقل ولو حديثاً؛ لأن الأمر بتبليغ الحديث يفهم منه بطريق الأولوية، فإن الآيات مع انتشارها وكثرة حملتها تكفل الله تعالى بحفظها وصونها عن الضياع والتحريف. ينظر: ((إرشاد الساري)): (٤/١).

(٤) سورة النحل.

إلى ما فيه الصلاح، والنهي عما فيه الفساد. كما قال أكمل الرسل ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم» رَوَاهُ الخَمْسَةُ[1]. قوله عليه الصلاة والسلام: «لِلَّهِ» [أي: بالإيمان به، والقيام بواجب شكره ﷻ، وحمل الناس على ذلك] «وَلِكِتَابِهِ» [أي: بتعلمه والعمل به وإرشاد الناس إلى ذلك] «وَلِرَسُولِهِ» [باتباعه ونصره في كل شيء] «ولائمة الْمُسْلِمِينَ» [أي: ولاتهم باحترامهم وإطاعة أمرهم فيما يرضي الله ورسوله؛ كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴿٥٩﴾ ﴾ «وَعَامَّتِهِمْ» [أي: بإرشادهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، فمن كان بهذه الصفات كان

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الإيمان ــ بَاب قَوْلِ النبي ﷺ: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ" وَقَوْله تَعَالَى: ﴿الكهف مريم طه الأنبياء الحج السجدة﴾. [سورة التوبة]، ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان ــ بَاب بَيَان أَنَّ الدِّين النَّصِيحَة، رقم: ٥٥، ((سنن أبي داود)): كتاب الأدب ــ باب في النصيحة، رقم: ٤٩٤٤، ((سنن الترمذي)): كتاب البر والصلة ــ باب ما جاء في النصيحة، رقم: ١٩٢٥، ((سنن النسائي)): كتاب البيعة ــ باب النصيحة للإمام، رقم: ٤٢٠٢.

خليفة الله في أرضه]، وقال أكمل الرسل ﷺ: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلاَثٌ لاَ يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلاَصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ» رواه الترمذي[1].

"أيُّ سادة": سنة الله في عباده وأحبابه، أن يكون لكل داعية وصالح أعداءٌ وحسادٌ، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾[2]، وورد في الحديث: «إن كنت عابداً صادقاً في خر جبل، لا يعلم بك إلا الله، لهيأ الله لك من المخادعين من يردك عن طريق الحق والصواب». وعند أهل

(١) ((سنن الترمذي)): كتاب العلم ـــ باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، رقم: ٢٦٥٨، قال ابن القيم: أي لا يبقى في القلب غل ولا يحمل الغل مع هذه الثلاثة، بل تنفي عنه غله، وتنقيه منه، وتخرجه منه؛ فإن القلب يغل على الشرك أعظم غل. وكذلك يغل على الغش، وعلى خروجه عن جماعة المسلمين بالبدعة والضلال. فهذه الثلاثة تملؤه غلاً ودغلاً. ودواء هذا الغل واستخراج أخلاطه، بتجريد الإخلاص والنصح، ومتابعة السنة. ((مدارج السالكين)): (٢/ ٩٠).

(٢) سورة الفرقان.

العلم والعرفان: أيُّ داعيةٍ أو عارفٍ بالله ليس له أعداء فهو نقص بحاله، وإذا زاد عليه الحساد والأعداء فهي من كرامته، لصدقه، وعدم المداهنة لهم.

٢ـ والتأليف، هو: جعل الأشياء الكثيرة بحيث يطلق عليها اسم الواحد سواء كان لبعض أجزائه نسبة إلى البعض بالتقدم والتأخر أم لا، قال الله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾[2] مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق، قال أكمل الرسل ﷺ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ» رواه مسلم وأبو داود والترمذي

---

(١) سورة القلم.

(٢) سورة البينة.

والنسائي[1]، وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنُ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلِمَهُ وَنَشَرَهُ» رواه ابن ماجه وابن خزيمة[2].

قال تاج الدين السُبكي في كتابه "جمع الجوامع": ((فإن العالم وإن امتد باعه، واشتد في ميادين الجدال رفاعه، واشتد ساعده، حتى خرق به كل سَد، سُدَّ بابه، واحكم امتناعه، فنفعه قاصر على مدة حياته، ما لم يصنف كتاباً يخلد بعده، أو يُورث علماً ينقله عنه تلميذ، إذا وجد الناس فقده، أو يهتدي به فئة مات عنها، وقد ألبسها به الرشاد برده، ولعمري إنَّ التصنيف لأرفعها مكاناً، لأنه أطولها أزماناً، وأدومها إذا مات

---

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب الوصية ــ باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، وقم: ١٦٣١، ((سنن أبي داود)): كتاب الوصايا ــ باب ما جاء في الصدقة عن الميت، رقم: ٢٨٨٠، ((سنن الترمذي)): كتاب الأحكام ــ باب الوقف، رقم ١٣٧٦.

(٢) ((سنن ابن ماجه)): باب ثواب معلم الناس الخير، رقم: ٢٤٢، ((صحيح ابن خزيمة)): (١٢١/٤)، رقم: ٢٤٩٠، وتمامه: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ»، قال الألباني: حسن.

أحياناً، ولذلك لا يخلو وقت يمر بنا خالياً من التصنيف، ولا يخلو إلا وقد تقلد عقد جواهره التأليف، ولا يخلو علينا الدهر ساعة فراغ إلا وُنكل في القلم بالترتيب والترصيف))[1].

وقال الزركشي في "قواعده": ((من فروض الكفاية: تصنيف الكتب لمن منحه الله فهماً واطلاعاً، ولن تزال هذه الأمة، مع قصر أعمارها في ازدياد وتَرقٍ في المواهب. والعلم لا يحل كتمه، فلو ترك التصنيف لضيع العلم على الناس))[2]. ولله در من قال:-

يموتُ قومٌ فيُحي العلم ذكرهمُ   والجهلُ يلحق أمواتاً بأموات

وقالوا: اللسان مقصور على القريب الحاضر، والقلمُ مطلقٌ بالشاهد والغائب، وهو للغائب الكائن، مثله للقائم

---

(١) ((التعريف بآداب التأليف)): لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ): (١٩).

(٢) ((المنثور في القواعد)): (٣/٣٥).

الراهن[1]. يحمله أهل علم وحال تربوا في القال والحال فكانوا للأمة جنوداً وقادة رواسخ.

وقال مولانا حضرة الشيخ عبد الله الهرشمي ـ قدَّس الله روحه: أمَّا جهاد الدحض فذلك أن الإسلام كان ولا يزال معرَّضاً للطَّعن والتلبيس فيه والافتراء والعدوان عليه. هكذا يبغي عليه بدون الحقِّ أعداؤه. وعدوان الأقلام الكاذبة والعقول الدجالة أعتى وأشد فتكاً من الرماح والسيوف والقنابل والصواريخ. فكان ولا يزال حتماً على علماء الأمّة أصحاب الغيرة والحمية والهمة أن يذبوا عن الحياض ويصونوا جوهر الإسلام فيجاهدوا في سبيل الله بما آتاهم الله من قوى العلم وسلاح الأقلام[2].

٣ ـ تربية الرجال: قال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ

---

(١) ((التعريف بآداب التأليف)): (٢٧).

(٢) ((معالم الطريق)): (١٨٦/١٨٧).

يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٨ ﴾ [1]، وقال أكمل الرسل ﷺ: «أدَّبني ربي فأحسنَ تأديبي» فهذا الحديث مدلوله صحيح، وهو يلزم بالتحقق بآداب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم، فإن من زل عنها هوى، ومن فارقها ضل وغوى، وبها تعرج همم المقربين، وتزهر أسرار العارفين، ولا وجه يلتحق به العارف بربه إلا طريق الأدب المحمدي؛ وبهذا تتربى الرجال لنهضة الأمة؛ العلم: بملاحظة واستقراء، والعقل: بنتائجه واستنتاجه، والروح: بإلهامها وإشراقها من الله تعالى، ليكون الداعية الربّاني؛ إسلامي الاتباع، محمدي الأخلاق، ربّاني الأحوال بالله ﷻ، فيكون مثلاً ـ كالنووي وابن القيم وأمثالهما علماً، والغزالي وأمثاله حكمةً وفكرا، والسجاد والكيلاني وأمثالهما روحاً وسلوكا؛ ليسير القاصد إلى الله

---

(١) سورة النور.

ﷺ، ديناً، وقلباً، وخدمةً لهذه الأمة المرحومة ـ أمة خاتم النبيين والمرسلين ـ صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، وعلى آله وأصحابه ومن والاه إلى يوم الدين، قال أكمل الرسل ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا، وَلَا مُتَعَنِّتًا؛ وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا» رواه مسلم[1]، وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: «أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ، وَمَا وَالَاهُ، وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ» رواه الترمذي وابن ماجه[2].

قال النووي في "بستان العارفين": من كانت فيه نجابة في العلم، وحصَّل طَرَفًا منه، وظهرت فيه أمارات التبريز فيه؛ فينبغي له أن يجتهد في تتمته، ولا يضيع طلبه فيضع نفسه.

ومن حصل له العلم، ينبغي له أن يسعى في نشره، مبتغيًا به رضاء الله تعالى، ويشيعه في النّاس، لينتقل عنه، وينتفع به النّاس، وينتفع هو. وينبغي أن يرفق في نشره بمن

---

(١) كتاب الطلاق ــ باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية، رقم: ١٤٧٧.

(٢) ((سنن الترمذي)): كتاب الزهد، رقم: ٢٣٢٢، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الزهد ــ باب مثل الدنيا، رقم: ٤١١٢، قال الألباني: حسن.

يأخذه منه، ويسهل طرق أخذه؛ ليكون أبلغ في نصيحة العلم، "فإنَّ الدين النصيحة".

اللّهمَّ؛ زدني علمًا وألحقني بالصالحين، واجعلني من ورثة جنة النعيم، واغفر لي وارحمني، ووالديَّ ولمن دخل بيتي مؤمنًا، وللمؤمنين والمؤمنات، المسلمين والمسلمات ـ برحمتك يا أرحم الراحمين، ويا أكرم الأكرمين، ويا أجود الجوادين، يا اللهُ، آمينَ آمينَ آمين.

المرتبة الثامنة: الجهاد في سبيل الله، وأنواعه؛

فالجهاد، هو: الدعاء إلى الدين الحق، أو خلو عن الراحة، وترك الرخصة، ومقامه عند الله عظيم، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ ﴾، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ

رَبَّهُ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ». متفق عليه. وقال ـ عليه السّلام: «ذُرْوَةُ سَنَامِ الْإِسْلَامِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ» رواه أحمد[1]، وذلك لحماية الدين والأمة، والشوق إلى لقاء الله تعالى، والفوز بما أعده لعباده الصالحين، من الدعاة والمجاهدين، من الدرجات والنعيم المقيم.

"ومراتب الجهاد كثيرة":-

فمنها: جهاد العدو، لإعلاء كلمة الحق، وإخفاء راية الباطل من الكفرة والمنافقين، كما قال ـ جلَّ شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٩﴾[2]، وقال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ

(١) ((مسند أحمد)): (٣٦/٣٧٥)، رقم: ٢٢٠٥١.

(٢) سورة التوبة.

بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾[1].

ومنها: جهاد الشياطين وحزبهم - من أهل البدع والضلالات، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ ﴿٦﴾﴾[2]، وقال - عزَّ كماله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾[3]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا

---

(١) سورة التوبة.

(٢) سورة فاطر.

(٣) سورة الجاثية.

﴿وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ٧٥﴾[1]

، وقال أكمل الرسل ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ» رواه مسلم[2].

ومنها: جهاد القلب كما في الحديث الشريف؛ وهو بغضهم، وبغض حالهم، التي هي عقيدة الولاء والبراء؛ بدونها لا يصير الإنسان مؤمناً؛ فسمى النبيّ ﷺ فعل القلب هذا

---

(١) سورة النساء.

(٢) كتاب الإيمان ــ باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، رقم: ٥٠.

جهاداً، كما سمى فعل اللسان جهاداً، إذاً من باب أولى يسمى فعل اليد جهاداً، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾[1].

فالأمانة؛ "قضية الدين والقلوب والأمة". فتنبه .

ومنها: جهاد النفس، قال أهل العلم: النفس من الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوّة الحياة والحس والحركة الإرادية، وسماها الحكيم: الروح الحيوانية، فهو جوهر مشرق للبدن فعند الموت ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن وباطنه . وأما في وقت النوم فينقطع عن ظاهر البدن دون باطنه، فثبت أن النوم والموت من جنس واحد، لأن الموت هو الانقطاع الكلي، والنوم هو الانقطاع الناقص، فثبت أن القادر الحكيم ـ جل وعلا، دَبْرَ تعلق جوهر النفس بالبدن على أضرب: إن بلغ ضوء النفس إلى جميع أجزاء البدن، ظاهره وباطنه، فهو

---

(١) سورة العنكبوت.

اليقظة، وان أنقطع ضوؤها عن ظاهره دون باطنه، فهو النوم، أو بالكلية فهو الموت، وبينهما تقارب بقدرة القادر الحكيم، كما كان يقول أكمل الرسل ﷺ عند الاستيقاظ : «الْحَمد لله الَّذِي أَحْيَانا بَعْدَمَا أماتنا وَإِلَيْهِ النشور»، متفق عليه.

فسبحان الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، والذي باسمه الحي كانت الحياة، فإذا كنا مع الله، فحياتنا لا تنقطع بأُنسها وجمالها، وإذا ابتعد العبد عن الله، فانقطاعه سريع وموته حزن وعذاب . فتنبه.

"أي سادة": إن النفس هي من أعدى الأعداء، فوجب الانتباه إلى مخاطرها وخفاياها، ولزم المسلم كبح جماحها وعدم الانصياع لها، وورد: «أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ».

ولله در القائل:-

تعرف النفس لا تأمن غوائلها فالنفسُ أخبث من سبعين شيطانا

فمجاهدتك لنفسك يُعد الجهاد الأكبر، كما قال أكمل الرسل ﷺ «هبطتم من الجهاد الأصغر، إلى الجهاد الأكبر، وهو : جهاد النفس»، فإذا انفصل أحدهما عن الآخر؛ كان صغيراً، وإذا اجتمعا؛ كانا كبيرين.

ـ وكن حذراً أن تفصل بين الجهاد والمحبة، فإنَّ الله جمع بينهما في قرآنه المجيد، فقال ـ جلَّ مجده: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾[1] وكذلك العمل "لوحدتنا وإخلاصنا"، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ

---

(١) سورة التوبة.

كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [1]، قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ ﴾ فثباتنا في الجهاد وبأنواعه ـ كجهاد العدو، وجهاد النفس، وجهاد الدعوة والإرشاد، والثبات في المحن والشدائد، والثبات على الحق، ودحض الباطل، والثبات مع تشكيل الأحوال في الله ﷻ؛ وهي الاستقامة على طريق الدين والمحبة والدعوة، وهي من مواهب الرحمن لعباده وأحبابه؛ وذلك من الثبات والرباط في سبيل الله ـ تبارك وتعالى.

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أي: بدعائكم بالثبات والنصر لهذه الأمة المرحومة؛ واعلموا أن الدعاء مستجاب بعد الطاعات،

---

(١) سورة الأنفال.

والصبر في الشدائد التي تقع على هذه الأمة المرحومة، ومن هذه الأذكار: أذكار السُّنة، وخاصة ما كان يدعو أكمل الرسل ـ صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلّم، في أوقات الشدائد والمحن، وكذلك تلاوة القرآن المجيد، وحضور الفكر في أوقاتك، وذكر الله في القلب؛ حتى لا تضيع الأوقات والأحوال، من هذه الأحوال التي هي من منازل الآخرة.

ولله در الإمام الشافعي ـ رضي الله تعالى عنه، حيث قال:-

وما تقلبت من نومي وفي سنتي إلا وذكرك بين النفس والنفس

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، أي: بكل ما يأمران به، بل يجب في الدين طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ كذلك يجب طاعة أولي الأمر منكم، والعلماء ورثة الأنبياء؛ وبذلك حياة الأمة.

﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾.

"أيُّ سادة": لو عملتم بكل ما تقدم، ولكن حصل التنازع ولا تقام دولة أو تدوم، ولا تحفظ لكم قوتكم الظاهرة والباطنة، ولو حصل شيء يخشى أن يكون استدراجا، وكذلك الاعتراض بما لا علم لك به، وما يظهره الله لعبده، فهو بتوفيق الله عليه، والاعتراض في ذلك تنازع، قال مفتي الحنابلة في القرن الخامس الهجري في بغداد، الإمام الربّانيّ الشيخ عبد القادر الجيلاني ـ قدس الله روحه، في قصيدته ـ ومنها هذا البيت:-

ولا تعترض فيما جهلت من أمره.. عليه فإن "الاعتراض تنازع"

"أيُّ إخوتي": الكافرون بعضهم أولياء بعض، والمؤمنون الصالحون في تنازع وتحاسد، والأمة في شقاق وخلاف؛ وإن لم تفعلوا لوحدتنا وإخلاصنا، وعدم التنازع فيما بيننا؛ تحصل فتنة في الأرض وفساد كبير، وذلك يُضعف الإسلام، ويكسر شوكته، ويظهر الكفر والبدع، ويُعلي

رايتهم، كما قال جلَّ شأنه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣﴾[1] اتخذ المسلمون بطانتهم من غيرهم، وولوا أعداء الدين لأجل مناصبهم، ومصالحهم الدنيوية الدنيئة الفانية. ولا حول ولا قوة إلا بالله، فخسروا وخابوا؛ فكان الذل والهوان.

"أيُّ إخوتي": التنازع فشل وخسران، وضياع للأمة، وتضييع الأمانة، وخشية الخيانة؛ فكم اليوم نحن بحاجة إلى وحدتنا وإخلاصنا وخدمة أمتنا، وأرجو قائلاً: -

أملـي بكـم حـال انـدماج	لا يفـرق الـدهر بيننـا في كـل حـال
ثـم الصّـلاة والسّـلام علـى	خيــر حبيــب شــرف الأحــوال

(١) سورة الأنفال.

قال أكمل الرسل ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» رواه مسلم[1].

قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾، فلو جُمع الأمر عليكم بتوفيق الله فيما ذكر، فعلينا بعد ذلك بالصبر، فإنَّ الاختبار مُنحة؛ فبعد كل مِحنة مُنحة، بعد ذلك لعباده وأحبابه الدعاة الصادقين، والمؤمنين الصالحين، "وعلامة رضاء الله، الرضا بما قدره الله"، سُئل سيدنا علي المرتضى ﷺ، وكرم الله وجهه، عن القضاء والقدر، فقال: ليلٌ مظلم، وبحرٌ عميق، وسرُّ الله الأعظم؛ فمن رضي به فله الرضا، ومن سخط فله السخط. قال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾[2].

---

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب البر والصلة والآداب ــ باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم: ٢٥٨٦.

(٢) سورة يوسف.

"أيُّ سادة": قد بشر الله تعالى الذين ينهون نفوسهم عن اتباع الهوى بالجنّة، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾[1] قال العلامة الآلوسي في "تفسيره": ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾، أي: مقامه بين يدي مالك أمره يوم الطامة الكبرى، يوم يتذكر الإنسان ما سعى. ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي زجرها وكفها عن الهوى المردي، وهو الميل إلى الشهوات، وضبطها بالصبر والتوطين على إيثار الخيرات، ولم يعتد بمتاع الدنيا وزهرتها، ولم يغتر بزخارفها وزينتها، علماً بوخامة عاقبتها؛ وعن ابن عباس ومقاتل: إنه الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب بين يديّ ربّه سبحانه فيخاف فيتركها. أهـ.

---

(١) سورة النازعات.

"أيُّ سادة": أفضل الأعمال مخالفة هوى النفس، ولتهذيبها، وترويضها ـ بتوفيق الله ورحمته ـ جلَّ وعلا، منازل في التزكية والتربية، أولاً: أنْ لا توافقها في أي أمرٍ ظاهراً كان أو باطناً مخالفاً للشريعة الغراء. ثانياً: أنْ لا تَنْشغِلَ بخِواطرها؛ لأن اللصَ لا يَدخُلُ بيتاً فارغاً، لقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ»، رواه الإمام البخاري(١)، وفي أخرى، قال ـ عليه الصّلاة والسّلام: «وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»، متفق عليه(٢).

ثالثاً: وكن غيرَ راضٍ عن خَواطِرها السيئة، وَاحْرص على أن تَضْحَكَ على تلك الخواطر؛ لأنك إذا صغرت قيمته عندك، وهان كيده عليك، وإذا تم علمك بمضره وما يُلقي إليك من تلك الوسوسة أو الخواطر، مع معرفتك بقوته

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الطلاق ــ باب الطلاق في الإغلاق والكره، والسكران والمجنون وأمرهما، والغلط والنسيان في الطلاق والشرك وغيره، رقم: ٢٥٦٩.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب الرقاق ــ باب من هم بحسنة أو بسيئة، رقم: ٦٤٩١، ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان ــ باب إذا هم العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم تكتب، رقم: ١٣١.

عليكَ، وضعفك عنه، فحينئذ أُعطيت القدرة على ردّ كيده، ولم يعط القوة على أن يُكرِهك على ما يُريد منك، بإذن الله تعالى. كل هذا حتى لا تُشْغلَ بوسواسها عن تهذيبها، وتزكيتها، وتعيق ترقيك إلى الله ﷻ.

وإذا رأيت بعد ذلك التهذيب تكاسلاً عن الطاعة، أو ميلاً إلى المعصية فاعلم بأن الله يسمعك ويَراك، ويَعلم سِركَ ونَجواكَ: قال ـ جلَّ ثناؤه:﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾[1] ثم تذكر أن لك ملكين كريمين يكتبان لك حسناتك وسيئاتك: كما قال الله تعالى:﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾[2] ثم انهض بهمةٍ تُفتح لك الأبواب بإذن الله الواحد الفتاح، كما قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟

---

(١) سورة الأنعام.

(٢) سورة ق.

فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[1] والمعنى: سيمُدّكَ ﷻ، بالنصر والمعونة والتوفيق.

واعلم: أن الموت غيبٌ ينتظر أمر الله عليك بأي لحظةٍ، ثم تنتقل إلى الخلود الأبدي، فما أنت صانعٌ؟ والله ـ تعالى، يقول: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾[2].

واعلم: أن التقيَّ في جنّاتٍ ونهر، وأن المُقَصِّرَ والمُجْرم في عذابٍ وسُعر: كما قال ـ جَلّتْ قُدرَتُهُ: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾[3].

فعليك أيها الأعز الصالح: أن تكبح جماح نفسِكَ الأمارة بالسوء، وان تكسّر سيوفها ورماحها وتصدَّ عن الجوارح

---

(١) سورة العنكبوت.

(٢) سورة الرحمن.

(٣) سورة الأنفطار.

والفكر والقلب رياحها، وتقهر حتى ينقطع خداعها وجراحها، وتطوّع كيما يستوي مسارها وغدوها ورواحها، ثم يهدي إليها استقرارها وأمانها وفلاحها وعندئذ فهي النفس المزكاة مريدة القلب في أمره والإِشارات، بتوفيق الله تعالى وفضله.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾، فجهاد العدو، وجهاد النفس، وجهاد الدعوة والإرشاد، والثبات في المحن والشدائد، والثبات على الحق، ودحض الباطل، والثبات مع تشكيل الأحوال والمقامات في الله ﷻ؛ وهي الاستقامة على طريق الدين والمحبة والدعوة، وهي من مواهب الرحمن ـ جلَّ وعلا ـ لعباده وأحبابه؛ فإنَّ القضية: "قضية دين"، "وقضية قلوب"، "وقضية أمة"؛ وذلك من الثبات والرباط في سبيل الله ـ تبارك وتعالى.

اللّهُمَّ؛ بسطوة جبروت قهرك، وبسرعة إغاثة نصرك، وبعزَّتك لانتهاك حرمتك، وبحمايتك لمن احتمى بآياتك، نسألك يا الله يا سميع يا مجيب يا قريب يا منتقم يا قهار، يا شديد البطش، يا من لا يُعجزه قهر الجبابرة، ولا يعظم عليه هلاك الْمُتمرِّدة، من الملوك والأكاسرة، والأعداء الفاجرة، أن تجعل كيد من كادنا في نحره، ومكر من مكر بنا عائدًاً إليه، وحُفرة من حفر لنا واقعًاً هو فيها، ومن نصب لنا شبكة الخداع، اجعله يا سيّدي مَسُوقًا إليها وحصيدًا فيها وأسيراً لديها. احتجبنا بنور الله، وبنور عرش الله، وبكل اسم لله من عدوّنا وعدوِّ الله، ومن شر كلِّ خَلْقِ الله، بمائَةَ أَلْفِ أَلْفِ "لا حول ولا قوة إلا بالله"، خَتمت على نفسي وديني وأهلي وإخواني بمحبة ربّي وجميع ما أعطاني ربّي بخاتم الله القدُّوس المنيع الذي ختم به أقطار السماوات والأرض، {حَسْبُنَا اللَّهُ

وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} {حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} {حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}. وصلَّى اللهُ على سيِّدنا ومولانا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلّم. آمينَ آمينَ آمين. والحمد لله ربِّ العالمين.

المرتبة التاسعة: العارف بالله وتحقيقه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾، أي: العيش مع الله، والفهم عن الله؛ وهي حياة العارف بالله.

والعارف بالله: من عرف ربّه واتقاه، حاضر الفكر، مستمر الذكر بالله، أُنسه وافتقاره في خدمة مولاه.

ـ ومنازل العارف ثلاثة: عارف في الله، وعارف لله، وعارف بالله، أما "العارف في الله"، فهو: صاحب معرفة، "والعارف لله"، هو: صاحب أحوال ومقامات بالله ـ جلَّ وعلا، "وعارف بالله"، وهو: المتحقق، والوارث المحمدي، وهو: صاحب "فناء وبقاء"؛ "فالفناء" هو: التجرد بما لا

يليق، باستغراقك بعظمة الباري الجليل، "والبقاء": بقاؤك بما أمرك وأحبك ﷻ فتكون بين الإنابة والخدمة، والحضور والذكر ـ شوقاً وأنساً؛ فذهابك إلى الله تعالى، بتوفيق الله ـ جلَّ جلالُهُ، وعمَّ فضلُهُ ونوالُهُ.

فالأول: "علم العارف ورجاؤه"، والثاني: "حال العارف وقبوله"، والثالث: "تحقيق العارف، وتوفيقه وتأييده الربّانيّ"، كما قال جلَّ ثناؤه: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾[1] والحكمة: سر النبوة؛ وهذا من الإرث النبوي، كما قال ـ جلَّ شأنه: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴿١٢٩﴾﴾[2] وقال ـ جلَّ ذكره: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة البقرة.

ﭐلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ ﴿٣٢﴾[1] فكتب الحقُّ ـ جلَّ وعلا، البقاءَ لما آتاه من الحكمة والشريعة وقوَّة التزكية في قلوب أتباعه الآخرين كأتباعه الأوَّلين، كما قال أكمل الرسل ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((أولياء الله الذين إذا رُؤُا، ذكر الله))، رواه البزَّار، قال الألباني: "صحيح"، كما في السلسلة الصحيحة .

والعارف بالله زاد التقوى، كما قال الأسياد: عليٌّ وابنُ مسعودٍ وأنس ـ رضي الله تعالى عنهم أجمعين: ((المتقون سادة، والفقهاء أو العلماء قادة، ومجالستهم زيادة))، رواه أبو داود والطبراني وابن النجار والديلمي.

قال الإمام جعفر الصادق ـ عليه الرضوان والسّلام: ((لا يعرف الله حق معرفته من التفت منه إلى غيره، المعرفة هي طيران القلب في سرادق الأنس والألفة، جولاً في حجب

---

(١) سورة فاطر.

الجلال والقدرة؛ وهذه حالة من صمت أذناه عن البطالات، وعميت عيناه عن النظر إلى الشهوات، وخرس لسانه عن التكلم بالترهات))[1].

وقال الإمام طيفور ـ قدّس الله روحه: ((ليس على تحقيق بالمعرفة، من رضي بالحال دون ولي الحال؛ فإن من عرف الله كلَّ لسانه، ودهش عقله، العارف إن تكلم بحاله هلك، وإن سكت احترق))[2].

وقال الإمام الواسطي ـ قدّس الله روحه: ((المعرفة على وجهين؛ معرفة الإيقان، ومعرفة الإيمان؛ فمعرفة الإيمان: شهادة اللسان بتوحيد الملك الديان، والإقرار بالصدق ما في القرآن، وأما معرفة الإيقان، فهي: دوام مشاهدة الفرد الديان بالجنان))[3].

---

(١) ((حالة أهل الحقيقة مع الله)): للإمام أحمد الرفاعي: (٢٢).

(٢) ((حالة أهل الحقيقة مع الله)): (٢٢).

(٣) ((حالة أهل الحقيقة مع الله)): (٢٢).

قلتُ، أي: حضورٌ بالفكر، وذكرٌ في القلب، وهيامٌ بالروح؛ وهكذا أحوال أهل الله، لله ـ عزَّ وجلَّ.

وقال ذنون المصري ـ قدّس الله روحه، المعرفة: هي على ثلاثة أوجه، أولها: معرفة التوحيد، وهي: لعامة المؤمنين، والثاني: معرفة الحجة والبيان، وهي: للعلماء والبلغاء والحكماء، والثالث: معرفة صفات الفردانية، وهي: لأهل ولاية الله تعالى وأصفيائه؛ الذين أظهر الله لهم ما لم يُظهر لمن دونهم، وأعطاهم من الكرامات ما لم يجز أن يوصف ذلك بين يدي من لا يكون أهلاً له، خصهم الله من بين الخلائق، واصطفاهم لنفسه، واختارهم له، فحياتهم رحمة، ومماتهم غبطة، فطوبى لهم[1].

---

(١) ((حالة أهل الحقيقة مع الله)): (٢٣).

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٦٤ ﴾.

اللّهمَّ؛ اجعلنا متحققين بحقائق الإيمان، وأوصلنا إلى درجات العرفان والإحسان ـ بمنك ولطفك وكرمك ـ يا لطيف يا واسع يا عليم، يا الله، آمين.

اللَّهمَّ؛ اشغل جوارحنا بطاعتك، وقلوبنا بمعرفتك، وذكرك، وأنسك، واشغلنا طول حياتنا في ليلنا ونهارنا بذلك، وألحقنا بالذين تقدموا من الصالحين، وارزقنا ما رزقتهم وكن لنا كما كنت لهم، آمين.

صلِّ يا ربِّ وسلِّم وبارك على حبيب رب العالمين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وسيلتنا العظمى إلى الله، من روحي وما ملكت فداه، وعلى آله وأصحابه ومن والاه. والحمد لله ربّ العالمين.

المرتبة العاشرة: الوارث المحمدي، وشروط تأهله؛

أما الوارث المحمدي، فقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۝٣٢﴾[1]. قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ﴾ أي: بعدما اصطفيناك يا أكمل الرسل ـ بالرسالة العامة، وأيدنا أمرك بإنزال القرآن المجيد المعجز، الموجز؛ المشتمل بجميع فوائد الكتب السماوية مع زيادات

(١) سورة فاطر.

خلت عنها كل الكتب النازلة من الله تعالى. ﴿أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ﴾ المنزل إليك، وأبقينا بعدك بين القوم ﴿ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا﴾ أي: علماء الأمة من الصحابة، ومن بعدهم من العلماء العاملين الأتقياء والعارفين بالله، أو الأمة بأسرهم أجمعين؛ فإن الله تعالى اصطفاهم على سائر الأمم. ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ أي: بالتقصير بالعلم به، أو مقصر في الأعمال لم يُوفِّها حقها مع كثرة الحسنات، لانشغاله ببعض المجاهدات الشاقة عن المقربات والمحبوبات، وهو "المؤمن المشمول بمغفرة الربّ ـ جلَّ وعلا"، ولا يظن أن الظالم لنفسه محروم منها، فمناط الاصطفاء والإيمان والإسلام وهو الانقياد في القول والاستسلام؛ وقدَّم في التفصيل ذكر الظالم لنفسه لدفع توهم حرمانه من الجنّة، وتعجيلاً لمسرَّته، لأنه من أهل العبادة والاصطفاء. ﴿ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ ﴾ وهو الذي يعطيها حقها في أغلب الأوقات، فيقتصد في

الأعمال والأفعال والأقوال وجميع الأحوال، وهو"الولي الصالح". ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِٱلْخَيْرَاتِ﴾ أي: مواظب على الطاعات، مشمر دائماً للأعمال الصالحات، وفواضل الصدقات، والإنفاق على طلب المرضاة، للفقراء والمهاجرين في سبيل الله، المنصرفين عن الدنيا وما فيها، وقد زادوا بالأعمال الصالحات بضم التعليم والإرشاد، وهم "الوارثون الربّانيّون" ـ "أهل المعرفة والمحبة والقربة"، كما قال ـ جل ثناؤه: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [1] ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ وعلى مقتضى ما ثبت في كتابه ـ جلَّ وعلا ـ ونطق به لسان رسوله ﷺ؛ وهم الأخيار المحسنون من العارفين الوارثين، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ

---

(١) سورة آل عمران.

﴿ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾ [1] وقال ـ جلَّ مجده: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١﴾ [2] وقال أكمل الرسل ﷺ: «سَابِقُنَا سَابِقٌ وَمُقْتَصِدُنَا نَاجٍ، وَظَالِمُنَا مَغْفُورٌ لَهُ» رواه البيهقي [3]، وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: «السَّابِقُ وَالْمُقْتَصِدُ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، ثُمَّ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ» رواه الحاكم [4]، قال البغوي: وروي عن أسامة بن زيد في هذه الآية، قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّهُمْ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ» [5] وكذا أخرج البيهقي عن أسامة، وأخرج مثل ذلك عن كعب

---

(١) سورة التوبة.

(٢) سورة الواقعة.

(٣) ((البعث والنشور)): (٨٤)، وقال: ((فيه إرسال بين ميمون بن سياه، وبين عمر ﷺ. وروي من وجه آخر غير قوي، عن عمر موقوفا عليه)). وأخرجه بان كثير في ((مسند الفاروق)): (٦٠٣/٢).

(٤) ((المستدرك على الصحيحين)): (٤٦٢/٢)، وقم: ٣٥٩٢، قال الحاكم: وقد اختلفت الروايات عن الأعمش في إسناد هذا الحديث فروي عن الثوري، عن الأعمش، عن أبي ثابت، عن أبي الدرداء ﷺ. وقيل عن شعبة، عن الأعمش، عن رجل من ثقيف، عن أبي الدرداء. وقيل عن الثوري أيضا، عن الأعمش قال: ذكر أبو ثابت، عن أبي الدرداء. «وإذا كثرت الروايات في الحديث ظهر أن للحديث أصلا».

(٥) ((تفسير البغوي)): (٦٩٤/٣).

وعطاء؛ أن الأصناف الثلاثة في الجنة(١)، وأخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي عن ابن عباس في الآية، قال: ((هم أمة محمّد ﷺ ورثهم الله كل كتاب أنزله، وظالمهم مغفور له، ومقتصدهم يحاسب حساباً يسيرا، وسابقهم يدخل الجنَّة بغير حساب))، وأخرج البيهقي عن البراء بن عازب في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ الآية، قال: ((أشهد على الله أن يدخلهم الجنَّة جميعاً))[٢]، وقال أكمل الرسل ﷺ: «يَبْعَثُ اللَّهُ الْعِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يُمَيِّزُ الْعُلَمَاءَ فَيَقُولُ: يَا مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ، إِنِّي لَمْ أَضَعْ عِلْمِي فِيكُمْ لِأُعَذِّبَكُمْ، اذْهَبُوا فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» [٣].

﴿ذَٰلِكَ﴾ الإيراث والتوريث والإعطاء والاصطفاء ﴿هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ من الله إياهم في أولاهم،

---

(١) ((البعث والنشور)): (٨٦/١).

(٢) ((البعث والنشور)): (٨٥/١).

(٣) ((المعجم الأوسط)): (٣٠٢/٤)، رقم: ٤٢٦٤.

والفوز العظيم، والنوال الكريم لهم في أخراهم. يا لطيف يا واسع يا عليم، يا الله.

قال القاضي محمّد ثناء الله الحنفي المظهري، في "تفسيره": سُئل أبو يوسف عن هذه الآية، فقال: كلهم مؤمنون، وأما صفة الكفار فبعد هذا، وهو قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ ٣٦ ﴾[1] وأما الطبقات الثلاث فمن الذين اصطفى من عباده؛ لأنه قال: فَمِنهُم، وَمِنهُم، والكل راجع إلى الذين اصطفى من عباده، وهم أهل الإيمان، وعليه الجمهور[2]. فتأمل.

قال الإمام جعفر الصادق: فرَّق الله المؤمنين ثلاث فرق، وقال لهم: عبادنا وأضافهم إلى نفسه تفضيلاً منه وكرماً، وجعلهم كلهم أصفيله مع علمه بتفاوت معاملاتهم، ثم جمعهم في آخر الآية بدخول الجنَّة، فقال: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٍ

---

(١) سورة فاطر.

(٢) ((تفسير المظهري)): (٨/٥٨).

﴿يَدۡخُلُونَهَا ٣٣﴾[1] ثم بدأ بالظالمين إخباراً بأنه لا يتقرب إليه إلا بمحض كرمه، وإن الظالم لا يؤثر في الأصفياء، ثم بين للمقتصدين؛ لأنهم بين الخوف والرجاء، ثم ختم بالسابقين؛ لأنه لا يأمن أحد مكره، وكلهم في الجنَّة بحرمة كلمة الإخلاص في الشهادة.

وقال أبو علي الترمذي: لكل واحد من هؤلاء الثلاثة نوع من السؤال مناسب لما فيه من الحال؛ أخبر عنها المصطفى بلسان المقال، فسؤال الظالم: أسألك الإيمان بك، والكفاف من رزقك، وسؤال المقتصد: أسألك الجنَّة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، وسؤال السابق: أسألك النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك.

فأحباب الله تعالى: خواصٌ، وهم: السابقون المقرَّبون، والعامةُ، هم: الأبرار أصحاب اليمين؛ "ومن الخواص:

[1] سورة فاطر.

الوارث المحمدي"، كما قال أكمل الرسل ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، "إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ"، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وإنما وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ فَقَدْ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»، رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه[1]. وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا» رواه أبو داود والحاكم والطبراني[2]، والمجدد: كما عرفه المناوي ؛ عن جماعة من العلماء، قالوا: ولا يكون المجدد إلا

---

(١) ((سنن أبي داود)): كتاب العلم ــ الحث على طلب العلم، رقم: ٣٦٤٨، ((سنن الترمذي)): كتاب العلم ــ ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم: ٢٦٨٢، ((سنن ابن ماجه)): باب فضل العلماء، والحث على طلب العلم، رقم: ٢٢٣، قال الألباني: صحيح.

(٢) ((سنن أبي داود)): كتاب الملاحم ــ باب ما يذكر في قرن المائة، رقم: ٦٥٢٧، ((المستدرك)): (٥٦٧/٤)، رقم: ٨٥٩٢، ((المعجم الأوسط)): (٣٢٣/٦)، رقم: ٦٥٢٧، قال الألباني: صحيح.

عالماً بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة[1]؛ قال محمد شمس الحق العظيم ابادي في "عون المعبود": والمراد بتجديد الدين للأمة: ((إحياء ما أندرس من العلم بالكتاب والسنة، والأمر بمقتضاها، ولا يعلم ذلك المجدد إلا بغلبة الظن ممن عاصره من العلماء بقرائن أحواله، والانتفاع بعلمه، إذ المجدد للدين لابد أن يكون عالماً بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة، قاصداً للسنة، قامعاً للبدعة، وأن يعم علمه أهل زمانه، وإنما كان التجديد على رأس كل مائة سنة لانخرام العلماء فيه غالباً، واندراس السنن، وظهور البدع؛ فيحتاج إلى تجديد الدين فيأتي الله تعالى من الخلق بعوض من السلف إما واحداً أو متعدداً))[2]؛ فيتبين أهمية الوارث المحمدي وصحبته للترقي في مدارج القرب والإقبال، إلى مدارج الكمال، كما قال رسول الله ﷺ: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ» رواه البخاري

(١) ((فيض القدير)) (٢/٣٦٥).

(٢) ((عون المعبود)): (١١/٢٦٣).

ومسلم[1]. وتلقي دروس الآداب والفضائل عنه، واكتشاف العيوب الخفية والأمراض القلبية ـ فهو الذي يُعالجك بما عالجه الله تعالى.

وللوارث المربي شروط حتى يتأهل لإرشاد الناس وهي:-

أولاً: أن يكون عالماً بالفرائض العينية، كالأركان الخمسة في الإسلام، وخاصة فقه العبادة، من السنن والآداب؛ فهو عامل بالدين الكامل الصالح، مع الهمة والتحمل في سبيل الله تعالى؛ فيفعل المأمور، ويدع المحظور، ويرضى بالمقدور إلى أن يذهب إلى المولى الجليل ـ جلَّ في علاه.

ثانياً: أن يكون عالماً بحقائق العلوم، "وهو علم المعرفة الإلهية"؛ فينبغي أن يتحقق بعقيدة أهل السنة؛ توحيداً وتجريداً وتفريداً، عملاً وذوقاً، بعد أن عرفها علماً ودراية،

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب أحاديث الأنبياء ــ باب قول الله تعالى {وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون}، رقم: ٣٤١١، ((صحيح مسلم)): كتاب فضائل الصحابة ــ رضي الله تعالى عنهم ــ باب فضائل خديجة أم المؤمنين ــ رضي الله تعالى عنها، رقم ٢٤٣١.

فيشهد في قلبه وروحه صحتها، ويشهد أن الله تعالى واحد قدوس بذاته، قدوس في صفاته، قدوس في أفعاله، ويتعرف على أسماء الله تعالى ذوقاً وشهوداً، ويرجعها إلى الذات العلية؛ فهو ذات ﷻ، لا ماهية له، كما قال ـ جلَّ مجده: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾[1] وقال ـ جلَّ شأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾[2]

ثالثاً: فلابد أن يكون قد زكى نفسه بالمجاهدة والأدب المحمدي، وعلى يد عارف بالله، ومرشد مربٍ، خبر مراتب النفس وأمراضها ووسواسها، وعرف مكر الشيطان ومداخله، وآفات كل مرحلة من مراحل السير إلى الله تعالى، وطرائق معالجة كل ذلك بما يلائم حالة كل شخص وأوضاعه، فيكرمك؛ بما أكرمه الله من التهذيب والترقي، قال

---

(١) سورة الحديد.

(٢) سورة الشورى.

مفتي الحنابلة في بغداد في القرن الخامس الهجري، الإمام الرباني؛ الشيخ عبد القادر الجيلاني ـ قدّس الله روحه: من يعلمك بريائك وكلك ريك، إلا الذين عافاهم الله، فيعالجونك بما عالجهم الله.

رابعاً: أن يكون الوارث المحمدي: قد أجيز من شيخه الكبير العارف الرباني بالتوجه الروحي بإذن الله تعالى، وبالإرشاد، أو بالنيابة العامة عنه، وهذا ما وفقنا الله إليه، ويكون هذا بخط المرشد الكبير وتوقيعه، ويخبر بعض خواصه في حياته أنه قد أجازه، فتكون الأيادي موصولة، ويكون أهلاً أن يأذن للناس بذكر الله في القلب الذي هو"الاسم الأعظم".

أما التوجه، فقوله تعالى: ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾(١) وقال أكمل الرسل ﷺ: «أولياءُ اللهِ الذينَ إذا رُؤوا ذُكِرَ اللهُ»، رواه البيهقي. وقال

---

(١) سورة آل عمران.

الشيخ عبد القادر الجيلاني ـقدّس الله روحه: كان الأوائل رحمهم الله، يقطعون المشرق والمغرب على أقدامهم على أن يجدوا؛ عالماً عارفاً بالله متوجهاً، أي: له قلبٌ يؤثر في القلوب ـ بتوفيق الله وحده.

ـ أما صفة الوارث المربي: أنك إذا جالسته تشعر بنفحة إيمانية، ونشوة أنس بالله، لأنه لا يتكلم إلا لله، ولا ينطق إلا بخير، ولا يتحدث إلا بموعظة أو نصيحة، تستفيد من صحبته في الله، كما تستفيد من كلامه، وتنتفع من قربه، وتنتفع من بعده بحب الله ﷻ، وتستفيد ـ من نور قلبه بإذن الله تعالى، كما تستفيد من لفظه، وكما صح في الحديث، عن حنظلة ﵁ قال: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ ﵁، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا

رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَافَسْنَا[1] الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ(٢)، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ[3]، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ[4] عَلَى

---

(١) المعافسة: المعالجة والمخالطة، يعني أنهم إذا خرجوا من عند رسول الله ﷺ اشتغلوا بالأزواج والأولاد والضيعات، وتركوا تلك الحالة الشريفة التي كانوا عليها بمحضر من رسول الله ﷺ وفقدوا ذلك الاستحضار. وظنّ حنظلة ﷺ أن هذا الفرق بين الحالتين شعبة من النفاق.

(٢) الضيعات: جمع ضَيْعة، بفتح الضاد، وهي العقار والأرض كما في "القاموس"، وربما تستعار لمعاش الرجل من مال أو حرفة أو صناعة.

(٣) قال المناوي في ((التيسير بشرح الجامع الصغير))، (٣٠٥/٢، ٣٠٦): معناه لو أنكم في معاشكم وأحوالكم كحالتكم عندي لأظلتكم الملائكة؛ لأن حالة كونكم عندي حالة مواجيد، وكان الذي يجدونه معه خلاف المعهود إذا رأوا المال والأهل، ومعه يرون سلطان الحق.

(٤) أي: مصافحة معاينة وإلا فالملائكة يصافحون أهل الذكر، وذلك لأن حالتهم عنده حالة خشية من الله خص الطرق لأنها محل الغفلات؛ فإذا صافحتهم فيها ففي غيرها أولى، قال الكمال بن أبي شريف: وأشار

فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، رواه مسلم والترمذي[1]، وعن أنس ﷺ قال: ((لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي قَدِمَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ))، وَقَالَ: ((مَا نَفَضْنَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْأَيْدِي حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا)) رواه الترمذي وابن ماجه[2]. وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ 9 قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ جُلَسَائِنَا خَيْرٌ؟ قَالَ: «مَنْ ذَكَّرَكُمُ اللَّهَ رُؤْيَتُهُ، وَزَادَ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ، وَذَكَّرَكُمْ بِالْآخِرَةِ عَمَلُهُ» رواه أبو يعلى[3]، وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ».

بذلك إلى التفاوت باعتبار اعتراض الغفلات فنبه على أن الغفلة تختلسهم في غيبتهم عنه وتتحاماهم بحضرته. انتهى.

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب التوبة ــ باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة، وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا، رقم: ٢٧٥٠، ((سنن الترمذي)): كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم: ٢٥١٤.

(٢) ((سنن الترمذي)): كتاب المناقب، رقم: ٣٦١٨، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الجنائز ــ باب ذكر وفاته ﷺ، رقم: ١٦٣١، قال الألباني: صحيح.

(٣) ((مسند أبي يعلى)): (٣٢٦/٤)، رقم: ٢٤٣٧.

رواه أبو داود والترمذي[1]. "وهذا ليس من عملك فقط، بل بصلتهم لله، وبحالهم بالله، الذي يضاف إلى حالك؛ وهذا من محض الفضل والكرم منه ـ جلَّ جلالُهُ، وعمَّ فضلُهُ ونوالُهُ، كما قال ـ جل ثناؤه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[2]، وقال ـ جلَّ مجده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[3]، قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: بكل ما أمركم الله به ورسوله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم،

(١) ((سنن أبي داود)): كتاب الأدب ــ باب ما يؤمر أن يجالس، رقم: ٤٨٣٣، ((سنن الترمذي)): كتاب الزهد ــ باب ما جاء في أخذ المال في حقه، رقم: ٢٣٧٨، قال محمد بن عبد الله الخطيب التِّبريزي: (ت ٧٣٧ هـ)، في ((مشكاة المصابيح))، (١٣٩٧/٣): رواه احمد والترمذي وأبو داود والبيهقي في ((شعب الإيمان))، وقال النووي: إسناده صحيح.

(٢) سورة النساء.

(٣) سورة التوبة.

وهذا واجب شرعي على كل مسلم، وتارك الواجب في النار والعياذ بالله تعالى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، والصادقون هم الصفوة من المؤمنين، الذي عناهم الله تعالى بقوله: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ ۝٢٣﴾[1].

"أيُّ سادة": كونوا معهم في صحبتهم ومحبتهم؛ إلى منازل التزود والتنافس، إلى مراتب التحقيق؛ من المعرفة، والمحبة، والقربة، إلى منهج الربّانيّين، وهو: الأخذ بحقائق العلوم، وتهذيب النفوس، ومقامات القلوب، وعلو الهمة؛ امتثالاً بحال النّبيّ الكريم وأخلاقه ودعوته العظمى ـ صلوات الله عليه وسلامه إلى أبد الآبدين ـ لمعارج القلوب إلى علام الغيوب، وخدمة لهذه الأمة المرحومة؛ فهو السير إلى الله بما يحبه الله، أي:" بقبول الله ورضاه".

---

(١)

وللأمانة نقول: نتبرأ من كلِّ من يخالف السُّنَّة الشريفة، ويجب السير على صراط الشرع الإسلامي الحنيف، وننبه ونحذر من كل بدعة تدخل في الاعتقاد والعمل، والذوق والسلوك؛ وما الطريق إلى الله ـ جلَّ وعلا، إلا العمل الخالص بالدين كلّه؛ الكامل الصالح، على قدم الهمة، والتحمل في سبيل الله ـ جلَّ جلالُهُ، وعمَّ فضلُهُ ونوالُهُ.

اللَّهمَّ؛ إني أسألك باسمك الأعظم، وبكل اسم سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في مكنون الغيب عندك؛ أن تجعل القرآن لنا قائداً وهادياً، ولذنوبنا وعيوبنا ماحياً، ولقلوبنا ربيعاً، ولسيّئاتنا شافعاً، ولوجوهنا نظرةً ونوراً، ولعيوننا قرةً وسروراً، اللّهمَّ وأطلق به ألسنتنا، وأجزل به ثوابنا، وأحسن به مآبنا، واجعلنا نقوم به وبالّذي يرضيك عنّا، اللّهم واجعله

لغومنا وهمومنا شفاء، ولحوائجنا قضاء، وفي القيامة رفعةً وسناء، برحمتك يا أرحم الراحمين، اللَّهمَّ؛ اشغل جوارحنا بطاعتك، وقلوبنا بمعرفتك، وذكرك، وأنسك، واشغلنا طول حياتنا في ليلنا ونهارنا، والحقنا بالذين تقدموا من الصالحين، وارزقنا ما رزقتهم وكن لنا كما كنت لهم، آمين.

صلِّ اللَّهمَّ على سيدنا محمّد صلاةً لا تعد ولا تحد، ولا يحصي ثوابها أحد، يا رازق النعاب في وكره، يا رازق العبد الشكور، ومن جحد، يا من صفاته: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ}. وارضَ اللَّهمَّ عن آل بيت النبي المكرمين، وأصحاب رسول الله الأتقياء الغر الميامين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ـ من أهل الدين، والحال، والتربية والدعوة، آمينَ آمين. والحمد لله ربّ العالمين.

المرتبة الحادية عشر: عظام التجليات بثلاث ساعات.

"أيُّ إخوتي": قال الله تعالى: ((إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ . كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ . وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ))، ((إِنَّ الْمُتَّقِينَ)) أي: الذين كانت التقوى شعارهم، وطاعة الله دثارهم ((فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ)) أي: من خلال الجنات التي لا يوجد لها نظير، مما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان، ولم يخطر على قلب بشر، كذلك فيها عيون جارية يشرب بها عباد الله، يفجرونها تفجيرا، ((آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ)) أي: ما أعطاهم ربهم من الخير والكرامة والألطاف ((إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ)) أي: قبل دخولهم الجنة كانوا محسنين في الدنيا، ثم وصف إحسانهم ـ جلَّ وعلا؛ فقال: ((كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا

يَهْجَعُونَ)) أي: كانوا ينامون قليلاً من الليل، ويصلون أكثره؛ فإنهم قانتون لربهم، ما بين صلاة وقراءة وذكر ودعاء وتضرع؛ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما: كانوا أقل ليلة تمرّ بهم إلا صلّوا فيها شيئاً إمّا من أولها أو من أوسطها أو من آخرها ((وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)) التي هي قبيل الفجر يستغفرون الله تعالى؛ فمدوا صلاتهم إلى السحر، ثم جلسوا في خاتمة قيامهم بالليل، يستغفرون الله تعالى، استغفار المذنب لذنبه؛ وللاستغفار بالأسحار فضيلة وخصيصة ليست لغيره؛ كما قال تعالى في وصف أهل الإيمان والطاعة ((وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ))، ففي الصحيحين عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كَانَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: ((اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ لك مُلْكُ

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ولاَ إِلَهَ غَيْرُكَ))، وفي رواية البخاري: ((مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ

تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلاَتُهُ)) ((تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ))، يقال: تعار الرجل إذا انتبه من نومه وله صوت.

وفي أخرى لأبي داود: ((لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ، اللَّهُمَّ أَسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبِي، وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ، اللَّهُمَّ زِدْنِي عِلْمًا، وَلَا تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)).

"أيّ سادة": ساعات التجلي العظيم ثلاثة:-

الساعة الأولى: صلاة الليل العظيمة التي هي دأب الصالحين وأخلاقهم، وهي: أن ينام مبكراً بدون إثم، ولا في القلب على مسلم حقد، وينام على الذكر، ويرجو الله أن يوقظه بأحب الأوقات إليه ـ سبحانه وتعالى؛"وهذه كالأساس للمتوجهين إلى الله في هذه الساعات المباركات".

وإن الشيطان يعقد على قافية أحدكم، [وهي: مؤخرة الرأس]؛ ثلاث عقد؛ كما قال أكمل الرسل ـ صلى الله عليه وسلم: ((يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ على قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إذا هو نَامَ ثَلاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنْ اسْتَيْقَظَ، فذكر اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صلى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلانَ)). رواه الخمسة إلا الترمذي.

قال الطيبي ـ رحمه الله تعالى: مثلت حال من لم يتكاسل ولم ينم عن وظائفه التي تسرع به إلى المقام الزلفى، وتنشيطه لاكتساب السعادة العظمى، فكلما همت النفس اللوامة بالفتور تداركها التوفيق بالخلاص من نفث الشيطان، وعقد النفس الأمارة بالسوء، فيصبح نشيط القلب مطمئن النفس طيبها، يظهر في سيماها أثر السجود: بحالة من أسره العدو،

وشد على قفاه بريقة الأسر عقدة بعد عقدة استيثاقاً، وهو يتحرى الخلاص منه بلطائف حِيَله مرة بعد أخرى، حتى يتخلص منه بالكلية، ويذهب لسبيله بلا مانع ولا منازع، بخلاف من أطاع الشيطان حتى تمكن من النفس الأمارة بضرب العقد على قافية رأسه، فهل يستويان، ((أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)).

ـ عن أبي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: ((يَنْزِلُ رَبُّنَا ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حين يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يقول من يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ له، من يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، من يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ له)). رواه الخمسة.

هذا الحديث من أحاديث الصفات؛ وفيه مذهبان معروفان:—

أحدهما: وهو مذهب السلف وغيرهم؛ أنه يمر كما جاء من غير تأويل ولا تعطيل، ويترك الكلام فيه، وفي أمثاله مع الإيمان به، وتنزيه الربّ ـ تبارك وتعالى ـ عن صفات الأجسام.

المذهب الثاني: وهو قول جماعة من المتكلمين وغيرهم؛ أن الصعود والنزول من صفات الأجسام، والله تعالى يتقدس عن ذلك؛ فعلى هذا يكون معناه نزول الرحمة والألطاف الإلهية، وقربها من عباده، والإقبال على الداعين لنفحات رحمة الله تعالى، وفي ذلك الوقت تكون النية خالصة، والرغبة إلى الله متوفرة، فهو مظنة لقبول الإجابة؛ كما قال أكمل الرسل ـ صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ مِنَ اللَّيْلِ سَاعَةً، لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ))، رواه مسلم، وقال ـ عليه السلام: ((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ))، رواه الترمذي، وقال ـ عليه السلام:

((أشراف أمتي، حملة القرآن، وأصحاب الليل))، رواه البيهقي، والبغوي في السنن.

وعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنهما ـ قالا: قال رسول اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم: ((من اسْتَيْقَظَ من اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جميعاً كُتِبَا من الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ)). رواه أبو داود وابن ماجه.

ـ وعن بِلالٍ ـ رضي الله عنه ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: ((عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فإنه دَأبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إلى اللَّهِ، وَمَنْهَاةٌ عن الإِثْمِ، وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عن الْجَسَدِ))، رواه الترمذي. وهي أخلاق الصالحين، فتأمل.

ـ قال أكمل الرسل ـ صلى الله عليه وسلم: ((إذا قام أحدكم من اللَّيْلِ، فَلْيَفْتَتِحْ صَلاتَهُ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ)). رواه مسلم. ((خَفِيفَتَيْنِ)) أي: لينشط لما بعدهما، وتنحل بهما كل عقد الشيطان؛ كما قال ـ صلى الله عليه وسلم: ((فَحُلُّوا عُقَدَ الشَّيْطَانِ وَلَوْ بِرَكْعَتَيْنِ))، رواه ابن خزيمة.

ـ وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقرأ بهما؛ بالفاتحة، والكافرين؛ الركعة الأولى، وفي الثانية؛ الفاتحة، والإخلاص.

ـ وفي الصحيح: ((مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ))، وفي أخرى: ((من قرأهما بعد الْعشَاء الْآخِرَة أَجْزَأَتَاهُ عَن قيام اللَّيْل))، رواه ابن عدي في الكامل، وورد: ((من صلَّى بهما ركعتين من قيام الليل صار متهجداً)). وقال: ((إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِأَلْفَيْ عَامٍ، أَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَلَا يُقْرَآنِ

فِي دَارٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ فَيَقْرَبُهَا شَيْطَانٌ))، وكذلك آية الكرسي، وهي: أعظم آية في الكتاب المجيد؛ لأنها خاصة بالله تعالى، وذكر أسمائه وصفاته العلية.

ـ ثم صلاة الوتر منها: كما قال أكمل الرسل ـ صلى الله عليه وآله وسلم: ((يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ، أَوْتِرُوا؛ فَإِنَّ اللَّهَ وِتْرٌ، يُحِبَّ الْوِتْر))، رواه أصحاب السنن، وقال ـ عليه السلام: ((اجْعَلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرًا))، متفق عليه، وقال: ((مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ))، رواه مسلم، لأنه يكون وتراً وتهجداً؛ فينبغي أن ينوي ذلك، ولأنه وقت تجلي الكريم. فتنبه. اللّهمَّ؛ أنت الذي أنعمت، أنت الذي هديت؛ فزدنا ولا تنقصنا، اختم حياتنا عليك، وأمتنا على كمال الحبّ والإيمان.

ـ وقال ـ عليه السّلام: ((صَلاَةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنْصَرِفَ، فَارْكَعْ رَكْعَةً تُوتِرُ لَكَ مَا صَلَّيْتَ))، رواه الخمسة. وفي أخرى: ((الْوِتْرُ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ بِخَمْسٍ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ بِثَلَاثٍ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ بِوَاحِدَةٍ فَلْيَفْعَلْ))، رواه أبو داود والنسائي.

ـ وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يضطجع بعد الوتر، ويذكر الموت وما بعده، إلى الآذان فيعتدل.

"الساعة الثانية من التجلي": ثم يقوم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فيصلي قبلية الفجر؛ كما قال أكمل الرسل ـ صلى الله عليه وسلم: ((رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا))، رواه مسلم وغيره، أي: سنته التي قبل فرضه؛ خير من الدنيا، فنعيمها من الجنة، خير من نعيم الدنيا لو ملكها

الإنسان، أو ثوابها أكثر من ثواب الدنيا لو ملكها وتصدق بها، "وإذا كان هذا في سنة الفجر؛ فما بالك بفرضه!!!".

ـ ولأحمد، قال ـ عليه الصّلاة والسّلام: ((لَا تَدَعُوا رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ، وَإِنْ طَرَدَتْكُمُ الْخَيْلُ))، وهذه مبالغة في المحافظة عليها؛ ولو في الشدة لكثرة ثوابهما.

ـ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَرَأَ فِي رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ. رواه الخمسة إلا البخاري، وللترمذي وأبي داود: ((إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمُ الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الصُّبْحِ، فَلْيَضْطَجِعْ عَلَى يَمِينِهِ))؛ وهو للقبلة، وليذكر الموت وما بعده، ثم يعتدل؛ ويتعوذ بالله من الشيطان الرجيم "سبعاً"، ويتلو البسملة "تسع عشرة مرة"، ثم يقول: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، استغفر الله، "مائة

مرة"؛ وورد في حديث: أن من واظب عليها بين سنة الصبح وفرضه أتته الدنيا وهي راغمة. والمدار على النية، نسأل الله تعالى الإخلاص. انظر: ((التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول)): للشيخ منصور على ناصف (٢٠٩/١).

ـ ثم صلاة فرض الفجر؛ كما قال تعالى: ((وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً))، بأن صلاة الصبح تشهده ملائكة النهار، وملائكة الليل؛ لذا كان ـ صلى الله عليه وسلم: يطيل فيها القراءة للشهادتين، ولانتظار النائم فأنه وقت نوم، ثم يليه الظهر في التطويل، فالعشاء، فالعصر، فالمغرب، فتأمل.

"التجلي الثالث في الساعة الثالثة منه": وهو أذكار ما بعد صلاة الفجر إلى صلاة الضحى، وصلاة الضحى فيه: كما قال أكمل الرسل ـ صلى الله عليه وسلم: ((من قَعَدَ في

مُصَلاهُ حين يَنْصَرِفُ من صَلاةِ الصُّبْحِ حتى يُسَبِّحَ رَكْعَتَيْ الضُّحَى، لا يقول إلا خَيْراً، غُفِرَ له خَطَايَاهُ، وَإِنْ كانت أَكْثَرَ من زَبَدِ الْبَحْرِ)). رواه أبو داود والبيهقي.

ـ وعن أَنَسِ بن مَالِكٍ ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ صَلَّى الغَدَاةَ فِي جَماعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللهَ حَتى تَطلُعُ الشَّمسُ ثُمَّ صلَّى رَكْعَتينَ كَانت لَهُ كأجرِ حجَّةٍ وعُمرةٍ)) قال ـ صلى الله عليه وسلم: **((تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ))**. رواه الترمذي، وحسَّنهُ؛ ولهذا الحديث شواهد ذكرها أهل الحديث منها: حديث أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: **((من صلى صلاة الغداة في جماعة ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم قام فصلى ركعتين انقلب بأجر حجة وعمرة))**، أخرجه الطبراني، قال الهيثمي: إسناده جيد، ومنها: حديث أبي أمامة وعتبة بن عبد مرفوعاً: ((مَنْ صَلَّى صَلاةَ الصُّبْحِ في جَمَاعَةٍ، ثُمَّ ثَبَتَ في الْمَسْجِدِ يُسَبِّحُ اللَّهَ سُبْحَةَ الضُّحَى، كان له كَأَجْرِ

حَاجٍّ وَمُعْتَمِرٍ تَامًّا لَهُ حَجَّتُهُ وَعُمْرَتُهُ))، أخرجه الطبراني.

ويسمى "إحياء ما بين الطلوعين والغروبين"؛ أما الطلوعان: فطلوع الفجر الصادق، وطلوع الشمس. والغروبان: غروب الشمس، وغروب الشفق الأحمر ـ وهما وقتان مبالغ بهما عند السلف والخلف: كما قال أكمل الرسل ـ صلى الله عليه وسلم: ((لئن أقعد بين الطلوعين والغروبين وأذْكُر الله أحبَّ إليَّ مِنْ أنْ أقَاتِلَ حَتى أُقْتَلَ في سَبيلِ اللهِ)).

ـ وفي روايةٍ أخرى: ((لئن أذكر الله تعالى مع قومٍ بعد صلاةِ الفجرِ إلى طلوع الشمس أحب إليَّ من الدنيا وما فيها، ولئن اذكر الله تعالى مع قومٍ بعد صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس أحب إليَّ من الدنيا وما فيها)). رواه البيهقي.

ـ وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: ((يُصْبِحُ عَلَى

كُلِّ سُلامَى مِن أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ: فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنْ الضُّحَى)). رواه مسلم.

ـ وروى الإمام أحمد عن عبد اللَّهِ بن بُرَيْدَةَ ـ رضي الله عنه، قال: سمعت أبي بُرَيْدَةَ يقول: سمعت رَسُولَ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: ((فِي الإِنْسَانِ سِتُّونَ وثلثمائة مَفْصِلٍ فَعَلَيْهِ أن يَتَصَدَّقَ عن كل مَفْصِلٍ منها صَدَقَةً)) قالوا: فَمَنِ الذي يُطِيقُ ذلك يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: ((النُّخَاعَةُ فِي الْمَسْجِدِ تَدْفِنُهَا أَوِ الشيء تُنَحِّيهِ عَنِ الطَّرِيقِ، فان لم تَقْدِرْ، فَرَكْعَتَا الضُّحَى تُجْزِئُ عَنْكَ))"فأي كرمٍ هذا" ((رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ)).

وصلاة الضحى: أقلُّها ركعتان إلى ثَمانِ ركعاتٍ، وقيل أكثرها إثنتا عشرة ركعة، وأكملها ثمان، وأوسطها أربع

ركعات أو ست، ووقتها إذا حَلَّت الصلاة النافلة بعد شروق الشمس وارتفعت إلى الزوال، ثم كل وقت يستمر إلى الوقت الثاني، إلا بعد طلوع الشمس إلى الزوال، فلا وقت إلا وقت الضحى. فتأمل.

اللَّهم؛ اجعلنا ممَّن ركبت على جوارحهم من المراقبة غلاظ القيود، وأقمت على سرائرهم من المشاهدة دقائق الشُّهود، فهجم عليهم انس الرقيب، مع القيام والقعود، فنكسوا رؤوسهم مع الخجل وجباههم للسُّجود، وفرشوا لفرط ذلّهم على بابك نواعم الخدود، فأعطيتهم برحمتك غاية المقصود، صلِّ وسلِّم على الحبيب المحبوب، وعلى آله وأصحابه وأحبابه إلى اليوم الموعود. آمين. والحمد لله ربّ العالمين.

المرتبة الثانية عشر: الدعاء، وشروط استجابته؛

فالدعاء: هو الرغبة إلى الله تعالى فيما عنده من الخير والابتهال إليه بالسؤال ودعوته إذا سألته وإذا استعننته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾، فالله تعالى الرقيب الشهيد، المطلع على السر وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، وهو قريبٌ من داعيه بالإجابة.

ـ "والدعاء": هو العبادة والاستغاثة، وهو الإيمان الدال على الخضوع والتضرع إلى الله تعالى، ومن الرجاء فيه، وصدق الظن فيه، وانتظار الخير على يقين من جهته وفضله ـ جلَّ وعلا. وبهذا المعنى فهو: خُلُقٌ من أخلاق القرآن

المجيد، وفضيلة من فضائل الإسلام العظيم، وجانب من هدى الرسول الكريم ﷺ وهو من أهم مقامات العبودية بين يدي المولى ـ جلَّ في علاه. ومما يدل على عظيم مكانته؛ أن الله تعالى قال: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ ﴿٧٧﴾ ﴾[1]، أي: ما يصنع بكم، وما يبالي بكم، لولا طاعتكم وعبادتكم إيّاه، ودعاؤكم دعاء العبادة ودعاء المسألة، كما قال أكمل الرسل ﷺ: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»، رواه الترمذي(٢)، وفي روايةٍ للإمام أحمد: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ»، وقال عليه الصّلاة والسّلام: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ»، رواه أحمد[3]. وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ، وَمِمَّا لم يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ

---

(١) سورة الفرقان.

(٢) ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات، رقم: ٣٣٧١، وقال: هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

(٣) ((مسند أحمد)): (٤٠٨/٨)، رقم: ٨٧٣٣، قال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

بِالدُّعَاءِ»، رواه الترمذي[1]، وفي رواية أخرى: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً من قَلْبٍ غَافِلٍ لاهٍ»، رواه أبو داود والترمذي[2]، وفي أخرى: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»، رواه أبو داود والترمذي[3]، (الصفر، أي: الخالي)، وفي أخرى: «لا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ ما لم يَدْعُ بِإِثْمٍ أو قَطِيعَةِ رَحِمٍ، ما لم يَسْتَعْجِلْ»، قِيلَ: يا رَسُولَ اللَّهِ، ما الاسْتِعْجَالُ؟ قال: «يَقُولُ: قد دَعَوْتُ، وقد دَعَوْتُ، فلم أَرَ يَسْتَجِيبُ لي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذلك، وَيَدَعُ الدُّعَاءَ» متفق عليه[4]، قوله

---

(١) ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات ـ باب في دعاء النبي ﷺ، رقم: ٣٥٤٨.

(٢) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ـ باب الدعاء، رقم: ١٤٩٦، ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات ـ باب ما جاء في جامع الدعوات عن النبي ﷺ، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الدعاء ـ باب اسم الله الأعظم، رقم: ٣٨٥٥.

(٣) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ـ باب الدعاء، رقم: ١٤٨٨، ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات ـ باب في دعاء النبي ﷺ، رقم: ٣٥٥٦، وقال: حسن غريب.

(٤) ((صحيح البخاري)): كتاب الدعوات ـ باب يستجاب للعبد ما لم يعجل، رقم: ٦٣٤٠، ((صحيح مسلم)): كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ـ باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول: دعوت فلم يستجب لي، رقم: ٦٨٧١.

«فَيَسْتَحْسِرُ» أي: يستنكف عن السؤال، وأصله من حسر الطرف إذا كلَّ وضعف، فالعبرة بالمناجاة، هي العبادة، والاستجابة ضمنًا، والمراد بقدر الحكيم ـ جلَّ وعلا، الذي يحب أن يسمع صوت أحبابه، وقال أكمل الرسل ﷺ: «لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، ارْزُقْنِي إِنْ شِئْتَ، وَلِيَعْزِمْ مَسْأَلَتَهُ، إِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، لاَ مُكْرِهَ لَهُ»[1] قوله: «وَلِيَعْزِمْ مَسْأَلَتَهُ» أي: لا تكن في دعائك متردداً، بل أعزم وجد في المسألة. وفي أخرى: «سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو في صلاته فلم يصلِّ على النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «عجل هذا»، ثم دعاه وقال له أو لغيره: « إذا صلّى أحدكم فَلْيَبْدَأْ بِتحْميدِ ربه وَالثَّنَاءِ عليه، ثُمَّ ليُصَلِّ على النّبيّ ﷺ، ثُمَّ لْيَدْعُ

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب التوحيد ــ باب في المشيئة والإرادة: {وما تشاءون إلا أن يشاء الله}، رقم: ٧٤٧٧.

بعد بِمَا شَاءَ»، رواه أحمد والترمذي وغيرهما[1]، وفي الصحيح: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم؛ إلا أعطاه الله تبارك وتعالى إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدّخر له، وإمّا أنْ يكفّ عنه السوء مثلها» قالوا: إِذاً نُكْثِرُ. قال: «الله أَكْثَرُ »[2].

"أيُّ سادة": أمّا استجابة الدعاء فله شروط، منها: الإيقان بالإجابة، ومنها: تزكية النفس بأكل الحلال، كما قال رسول الله ﷺ: «الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ

---

(١) ((مسند احمد)): (١٧٧/١٧)، رقم: ٢٣٨٢١ ، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، ((سنن الترمذي)):، كتاب الدعوات ــ باب ما جاء في "جوامع الدعوات"، رقم: ٣٤٧٩، وقال: حديث حسن صحيح، قال العسقلاني في ((الدراية في تخريج أحاديث الهداية)) (١٥٧/١): أخرجه أصحاب السنن الثلاثة، وصححه الترمذي، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم: قال محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هــ) في ((المستدرك)) (٣٥٤/١): هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، وقال أيضاً في ((المستدرك)) (٤٠١/١): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولا تعرف له علة، ولم يخرجاه، وله شاهد صحيح على شرطهما؛ قال حمزة أحمد الزين: ووافقه الذهبي.

(٢) ((مسند أحمد)): (٥٩/١٠)، قال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن، والحديث عند الترمذي بنحوه في (٥٦٦/٥)، رقم: ٣٥٧٣، في الدعوات، وقال: حسن صحيح غريب عن عبادة بن الصامت، كما صححه الحاكم في "المستدرك" (٤٩٣/١)، ووافقه الذهبي.

إِلَى السَّمَاءِ يقول: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ». رواه مسلم وغيره[1].

فينبغي أن يسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى الكريمة العظمى، وصفاته العليا، ويدعو بالأدعية المأثورة عن السلف الصالح. وللدعاء أمكنة فيها مظنة للاستجابة، منها: عند رؤية الكعبة، وفي المساجد الثلاثة، وبين الجلالتين من سورة الأنعام، وفي الطواف، وعند الملتزم، وفي البيت، وعند زمزم، وشرب مائها، وعلى الصفا والمروة، وفي السعي، وخلف المقام، وفي عرفات، ومزدلفة، ومِنى، وعند الجمرات، ودبر الصلوات، وعند إقامة الصلاة، وساعة الجمعة، وفي الثلث الأخير من كلّ ليلة، والتقاء الصفوف، ونزول الغيث،

---

(١) كتاب الزكاة ــ باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، رقم: ١٠١٥.

والفطر، قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۝٣٨﴾[1] وقال ـ جلَّ ثناؤه:﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥﴾[2].

"أيُّ إخوتي": إن الله ﷻ: أمر عباده بالدعاء لما فيه من كثرة الخير في الدنيا والآخرة؛ فينبغي الإكثار منه، لقول رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أكثروا من الدعاء، فإن الدعاء يردّ القضاء المبرم»، رواه أبو الشيخ. وفي أخرى، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا مَأْثَمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يَسْتَجِيبَ لَهُ دَعْوَتَهُ، أَوْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، أَوْ يَدَّخِرَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَهَا». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذًا نُكْثِرُ. قَالَ: «اللَّهُ أَكْثَرُ»، رواه الترمذي وأحمد والحاكم. «اللَّهُ أَكْثَرُ» أي: أكثر إجابة.

---

(١) سورة آل عمران.

(٢) سورة الأعراف.

﴿تَضَرُّعًا﴾ أي: أن ندعوه ـ جلَّ وعلا، خاضعين خاشعين متعبدين بالدعاء له. ﴿وَخُفْيَةً﴾ يعني: سراً في أنفسكم وهو ضد العلانية؛ والأدب في الدعاء أن يكون خفياً، لهذه الآية قال الحسن: بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفاً، وأما الله تعالى ذكر عبداً صالحاً رضي فعله، فقال تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾[1][2]. هل الأفضل إظهار العبادات، أم لا؛ فذهب بعضهم إلى أن إخفاء الطاعات والعبادات أفضل من إظهارها لهذه الآية، ولكونها أبعد عن الرياء، صوناً لعمله عن البطلان، وذهب بعضهم؛ إلى أن إظهارها أفضل ليقتدي به الغير فيعمل مثل عمله، كما قال رسول الله ﷺ: «يقُولُ اللهُ تعالى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدي بي، وأَنا معه إذا ذَكَرَني، فإنْ ذَكَرَني في نفْسِهِ ذكرتُهُ في نَفْسي، وِإنْ

---

(١) سورة مريم.

(٢) ينظر: ((تفسير البغوي)): (٣/٢٣٧).

ذَكَرَني في مَلأٍ ذَكرتُهُ في مَلأٍ خَيْرٍ منهمْ»، متفق عليه[1]، فانظر: لذكر الله عبده في ملأ، على ذكره إيّاه في نفسه.

قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾، قال أكمل الرسل ﷺ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطَّهُورِ وَالدُّعَاءِ»، رواه أبو داود[2]. قال ابن جريج: الإعتداء رفع الصوت والنداء والصياح في الدعاء. وقيل: مجاوزة الحد في كل شيء خالف أمر الله، ونهيه؛ فقد اعتدى. وقيل أن يدعو ما فيه إثم أو قطيعة رحم، أو يقول: دعوت فلم يستجب لي، أو يدعو الله بأسماء لم يرد الشرع بها، أو يدعو فوق مقداره وحاله، كما قال أكمل الرسل ﷺ: «سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ، إِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَ الْجَنَّةَ أُعْطِيتَهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ، وَإِنْ أُعِذْتَ مِنَ النَّارِ

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب التوحيد ــ باب قول الله تعالى: ((ويحذركم الله نفسه))، ((صحيح مسلم)): كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ــ باب الحث على ذكر الله تعالى.

(٢) ((سنن أبي داود)): كتاب الطهارة ــ باب الإسراف في الماء، رقم: ٩٦، قال الألباني: صحيح.

أُعِذْتَ مِنْهَا، وَمَا فِيهَا مِنَ الشَّرِّ»، رواه أبو داود[1]. وفي أخرى: «إِنَّهُ سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ، وَبِحَسْبِكَ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ» وَقَرَأَ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥﴾[2] [3].

وقال ﷺ: «مَا كَرَبَنِي أَمْرٌ إِلَّا تَمَثَّلَ لِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْ: تَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا» رواه الحاكم[4]، وأخرج ابنُ السُّني والدَيلمي عن فاطمة 3 أنه ﷺ،

---

(١) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ــ باب الدعاء، رقم: ١٤٨٠.

سورة الأعراف. (٢)

(٣) ((مسند أحمد)): (٣/٧٩)، رقم: ١٤٨٣.

(٤) ((المستدرك)): (١/٦٨٩)، رقم: ١٨٧٦، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

قال لها: «إِذَا أَخَذْتِ مَضْجَعَكِ فَقُولِي: الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَافِي، سُبْحَانَ اللَّهِ الْأَعْلَى، حَسْبِيَ اللَّهُ وَكَفَى، مَا شَاءَ اللَّهُ قَضَى، سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ دَعَا، لَيْسَ مِنَ اللَّهِ مَلْجَأٌ، وَلَا وَرَاءَ اللَّهِ مُلْتَجَأٌ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ، ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾[1]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾[2]. ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَقُولُهَا عِنْدَ مَنَامِهِ، ثُمَّ يَنَامُ وَسَطَ الشَّيَاطِينِ وَالْهَوَامِّ فَتَضُرُّهُ»[3].

الله الله، اللّهمَّ أطلق ألسنتنا بذكرك، وقيد قلوبنا عما سواك، وروح أرواحنا بنسيم قربك، واملأ أسرارنا بمحبتك، واطو ضمائرنا بنية الخير للعباد، وألف أنفسنا بعلمك، واملأ

---

(١) سورة هود.

(٢) سورة الأسراء.

(٣) ((عمل اليوم والليلة)): لابن السني، (٦٦٧).

صدورنا بتعظيمك، وحيز كليتنا إلى جانبك، وحسن أسرارنا معك، واجعلنا ممن يأخذ ما صفا ويدع الكدر، ويعرف قدر العافية ويشكر عليها، ويرضى بك كفيلاً لتكون له وكيلا، ووفقنا لتعظيم عظمتك، وارزقنا لذة النظر إلى وجهك الكريم ـ تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام. لا إِله إلا أنت سبحانك، لا إِله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

اللّهمَّ؛ ارزقنا طول الصحبة، ودوام الخدمة، وحفظ الحرمة، ولزوم المراقبة، وأنس الطاعة، وحلاوة المناجاة، ولذة المغفرة، وصدق الجنان، وحقيقة التوكل، وصفاء الود، ووفاء العهد، واعتقاد الوصل، وتجنب الزلل، وبلوغ الأمل، وحسن الخاتمة بصالح العمل،صلِّ على محمد خير البشر وسلّم.

اللّهمَّ؛ رفعت السماء بغير عمدٍ آيةً نراها، وبُعدها رهيب عن البصر ومقداره، ولكن قلت: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ۝٦﴾[1].

فيا ربي بكَ رأيناها، اللّهم؛ فاحفظنا ظاهراً وباطناً، وافتح على بصائرنا يا مولانا يا الله؛ اللّهم رفعتها بدون عمدٍ ولا جسورٍ ولا شقوق، وأنت القادر على وسعتها، فقلت ـ جلَّ في علاك: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧﴾[2].

فوسع علينا ظاهراً وباطناً في الدنيا والآخرة؛ يا واسع يا عليم يا الله، اللّهم؛ أضأت المصابيح فيها، فجعلتها زينةً لعبادك؛ وهي تراب وأحجار وصخور، فيا ربي؛ زين قلوبنا بأُنسك ومعرفتك، واتمم لنا نورنا، واغفر لنا إنك على كل شيء قدير، آمين. صلِّ على النبي محمد الأمين.

---

(١) سورة ق.

(٢) سورة الذاريات.

اللّهم؛ بسطت الأرض على ماء جمد، مددتها للحياة، بعكس الأفلاك، فقلت: ﴿ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[1] .

فاللّهمَّ؛ ابسط علينا ظاهراً وباطناً ـ يا باسط يا عليم، من سحائب خزائن رحماتك، وودك، ولطفك؛ يا أرحم الراحمين، يا ودود، يا لطيف يا واسع يا عليم، يا الله. صلِّ على النبي الأمي.

اللّهمَّ؛ نصبت الجبال الرواسي فيها، موازنةً لها، وحياةً لعبيدك ومخلوقاتك، بقدرتك ورحمتك؛ فثبتنا اللّهم على دينك، ومحبتك، وخدمة أمة نبيك ﷺ، وبسر: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴿٢٧﴾ ﴾[2] فثبتنا في الدنيا والآخرة، وبما يرضيك عنا، فقد جئناك مفتقرين محبين بك إليك يا ربّنا، اللّهم؛ أنت

---

(١)
(٢)

الذي أنعمت، أنت الذي هديت، فزدنا ولا تنقصنا، اختم حياتنا عليك، وأمتنا على كمال الحبّ والإيمان. اللّهمَّ؛ خلقت الخلائق من الذرة إلى العرش فلم تنسَ أحد، فيا ربّنا أدم علينا ذكرك، وأنسك، ومعرفتك، والخدمة لأمة حبيبك ومصطفاك. اللَّهمَّ؛ اشف داءنا، وعظيم بلاءنا، وتفريج همومنا وكروبنا، وكسر أعداءنا من الأنس والجن يا إلهنا ويا مولانا، وإن عظم البلاء، وامتنع السبب، وكثر العدد، فأنت أنت مسبب الأسباب، وبيدك الأمر، وأنت على كل شيءٍ قدير؛ استجب لنا، وارحمنا يا أرحم الراحمين، ويا أكرم الأكرمين، ويا أجود الجوادين، يا الله، آمينَ آمينَ . صلِّ على حبيب ربِّ العالمين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه، ومن والاه ـ وسلم تسليماً كثيراً ـ إلى يوم الدين.

اللّهمَّ؛ بسطوة جبروت قهرك، وبسرعة إغاثة نصرك، وبعزَّتك لانتهاك حرمتك، وبحمايتك لمن احتمى بآياتك، نسألك يا الله يا سميع يا مجيب يا قريب يا منتقم يا قهار، يا

شديد البطش، يا من لا يُعجزه قهر الجبابرة، ولا يعظم عليه هلاك المُتمرِّدة، من الملوك والأكاسرة، والأعداء الفاجرة، أن تجعل كيد من كادنا في نحره، ومكر من مكر بنا عائداً إليه، وحُفرة من حفر لنا واقعاً هو فيها، ومن نصب لنا شبكة الخداع، اجعله يا سيّدي مَسُوقاً إليها وحصيداً فيها وأسيراً لديها. احتجبنا بنور الله، وبنور عرش الله، وبكل اسم لله من عدوّنا وعدوِّ الله، ومن شر كلِّ خَلْقِ الله، بمائَةَ أَلْفِ أَلْفِ "لا حول ولا قوة إلا بالله"، خَتمت على نفسي وديني وأهلي وإخواني بمحبة ربّي وجميع ما أعطاني ربّي بخاتم الله القدُّوس المنيع الذي ختم به أقطار السماوات والأرض، {حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} {حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} {حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}. وصلَّى اللهُ على سيِّدنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلّم.

اللّهمَّ؛ انصر من نصر الدين، واخذل من خذلنا وخذل المسلمين، اللّهم ربنا وربهم، ناصيتنا وناصيتهم بيدك، اقتلهم واهزمهم يا الله، آمينَ آمين.

اللّهمَّ؛ اغفر لنا، وارحمنا ووالدينا، وجميع المؤمنين والمؤمنات، المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، برحمتك يا أرحم الراحمين، يا أرحم الراحمين، يا أرحم الراحمين، يا الله ـ تبارك وتعالى ربنا وتقدس.

اللّهمَّ صلِّ على محمدٍ، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيد.

«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»

﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢ ﴾.

((خِتَامُهُ مِسْكٌ))

ختام رسالة الكمال، بدين الله الإسلام

"أيُّ سادة": ومن الدين الكامل والواجب: أداء حقوق العباد المالية، والثابت في الذمة، والتي دخلت عليك من غير طريق شرعي، والمعاملات دون ظلم، ولا بخس حقٍ، ولا غش، ولا تطفيف كيل، ولا نقص وزنٍ، ولا تدليس عين، ولا قول كذب، ولا خيانة أمانة، ولا إخلاف في وعد، ولا نقص عهد، ولا رجوع عن عقد بعد إبرامه دون خيار.

ومن الواجبات: إغاثة الملهوف، ونصرة المظلوم، وإغاثة الضعيف، وصلة الرحم، وردُّ السلام، وحسن اللقاء، ومعاملة الناس بِخُلق حَسن، والنصيحة لعباد الله تعالى، وحبُّ الخير لهم كما تحب لنفسك.

ومن الواجبات: حسن القيام بحقوق الزوجية الواجبة على الزوجين، كما قال تعالى: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}، والملاطفة في المعاشرة الزوجية، وحسن الجوار، والبعد عمّا يؤذيهم.

ومن الواجبات الشرعية الإسلامية: تحسين الظن بالمسلمين، ما لم يشاهَد منهم غير ذلك، والستر على العُصاة المستترين، والنصح لهم، مع الدعاء لهم بالعافية والتوبة إلى الله تعالى من ذنوبهم.

ومن الحقوق الواجبة على الإنسان: حقوق الحيوانات، فيجب على الإنسان الرفق بالحيوان، فلا يجيعه، ولا يوجعه، ولا يتعبه، ولا يزعجه، ولا يحمّله فوق طاقته، ولا يؤذيه بنفسه، ولا في أولاده ـ سواء في ذلك البهائم والطيور وغيرهما: لما روى الإمام أحمد وغيره: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ـ رضي الله تعالى عنه، عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَوْ غُفِرَ لَكُمْ مَا تَأْتُونَ إِلَى الْبَهَائِمِ لَغُفِرَ لَكُمْ كَثِيرًا»، أي: لأنكم قد تغفلون عن أداء حقوقها، فتتنبهوا.

ومن الفروض الإسلامية: إبعاد النفس عن المحرمات، وهي كثيرةٌ فمنها الرياء، والزنا، والخمر، والميسر، والغضب، والظلم، وشهادة الزور، واليمين الغموس، وقول الزور، وانتهاك الأعراض بالقذف ونحوه، والسباب، والتعيير، والتفسيق، والتبديع، والتكفير من غير دليل قطعي ثابت

شرعًا، وتتبع عورات النّاس وزلاتهم وأخطائهم وهفواتهم، والسب والشتم، واللعن، وكشف ستر المسلم، والغيبة، والنميمة، وسوء الظن، والسخرية بعباد الله تعالى ـ واحتقارهم، والتكبر، والعجب، والريله، والسمعة، والغرور، وحب الظهور والمفاخرة أو المكاثرة بالمال، وحب المال ـ فإنَّ ذلك يفسد دين صاحبه، وكسر القلوب، وترويع المسلم في نفسه وأهله. وغير ذلك مما ذكره أهل العلم والصلاح.

"أيُّ إخوتي": روى الحافظ السيوطي في "الخصائص الكبرى": أنَّ أنسًا ـ رضي الله تعالى عنه، كلم الحجاج، فقال له: لولا خدمتك لرسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وكتاب أمير المؤمنين كان لي ولك شأنٌ، فقال: هيهات إني لمّا غلظت أرنبتي وأنكر رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ صوتي، علمني كلمات لن يضرني معها عتوٌ جبار، ولا عنود، مع

تيسير الحوائج، ولقاء المؤمنين بالمحبة، فقال الحجاج: لو علمتنيهنَّ، قال: لست لذلك بأهل ـ فسيَّرَ إليه الحجاج مع ابنيه مائتي ألف درهم، قال لهما: الطفا بالشيخ، عسى أن تظفرا بالكلمات، فلم يظفرا، فلمّا كان قبل أن يموت بثلاثٍ قال دونك هذه الكلمات فلا تضعها في غير موضعها، وهي: ((الله أكبر، الله أكبر، بسم الله على نفسي وديني، بسم الله على أهلي ومالي، بسم الله على كلِّ شيءٍ أعطانيه ربي، بسم الله خير الأسماء، بسم الله ربّ الأرض والسماء، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه داء، بسم الله افتتحت وعلى الله توكلت، اللهُ الله ربي ولا أشرك به أحدًا، أسألك اللّهمَّ خيرك من خيرك الذي لا يعطيه غيرك، عزَّ جارك وجلَّ ثناؤك ولا إله إلا أنت. اللّهمَّ اجعلني في عياذك وجوارك من كلِّ سوء ومن الشيطان الرّجيم، اللّهمَّ إني أستجير بك من

كلِّ شيءٍ خلقت، وأحترز بك منهم، وأقدم بين يدي بسم الله الرّحمن الرّحيم، {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}، من أمامي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي ومن تحتي)). وفي روايةٍ عظيمة أخرى، للتاج السبكي في "طبقاته الكبرى": عن عبد الله بن عمر يقول: دعا رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ يوم الأحزاب بهذا الدعاء فكفي، وهو: «اللّهمَّ إني أعوذ بنور قدسك وبركة طهارتك وعظم جلالتك؛ من كلِّ طارقٍ إلا طارقًا يطرق بخير، اللّهمَّ أنت غياثي فبك أغوث وأنت عياذي فبك أعوذ وأنت ملاذي فبك ألوذ، يا من ذلت له رقاب الجبابرة وخضعت له مقاليد الفراعنة، أجرني من خزيك وعقوبتك في ليلي ونهاري ونومي وقراري، لا إله إلاّ أنت تعظيمًا لوجهك وتكريمًا لسبحاتك، فاصرف عني شرَّ

عبادك واجعلني في حفظ عنايتك وسرادقات حفظك، وأعد عليَّ بخير منك يا أرحم الراحمين»، ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣﴾، ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣﴾، ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣﴾، «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»، «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»، «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»، {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}، آمينَ آمينَ آمين. {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}.

خادم الدين والأمة

عباس السيد فاضل الحسني

﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴾